g



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٨- ١٢١٨

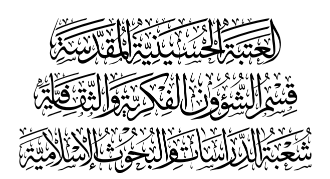
مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	BP271.24 .A45 2018
المؤلف الشخصي:	ال جواد، صالح، مؤلف.
العنوان:	القول المبين في شرح زيارة آل ياسين
بيان المسؤولية:	بقلم سماحة الشيخ صالح آل جواد.
بيانات الطبع:	الطبعة الاولى.
بيانات النشر:	كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.
الوصف المادي:	١٢٣ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر:	(العتبة الحسينية المقدسة؛ ٤٥١).
سلسلة النشر:	(قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية ٢٤٥).
تبصرة ببليوجرافية:	يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
موضوع شخصي:	محمد بن الحسن عجل الله فرجه، الامام الثاني عشر، ٢٥٦-للهجرة- الزيارات.
مصطلح موضوعي:	زيارة آل ياسين - نقد وتفسير.
اسم هيئة اضافي:	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. جهة مصدرة.
عنوان اضافي:	زيارة آل ياسين.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



بِقَلَم

سماحة الشيخ صالح آل جواد



طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

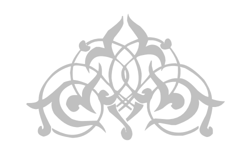


العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



المقدمة

الحمدلله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق والمرسلين محمَّدٍ وآل بيته الطَّيِّبين الطَّاهرين.

أمَّا بعد: فإنَّ الزِّيارة لغةً هي العيادة والحضور، فزيارة المريض عيادته، وزيارة البيت الحرام الوفود عليه والحضور لديه، وهكذا زيارة قبور المؤمنين، ومشاهد الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وللزِّيارة شروط وآداب عِدَّة تطلب في محالّها، كاستحباب الغسل لزيارة الإمام والبيت الحرام، واستحباب الهديَّة عند زيارة المريض، وكراهة طول المكث لديه إلاَّ مع طلبه ورغبته،وكاستحباب الإذن بالدُّخول عند زيارة الرَّسول والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهكذا تختلف الشُّروط والآداب بحسب المَزور، فآداب زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) - مثلاً - تختلف عن آداب زيارة غيره من الأئمة لمكان مصيبته.

وتُطلَق الزِّيارة على مجموع النُّصوص التي تُقرَأ في مواضع معيَّنة

كالنَّصِّ الُمسمَّى بزيارة أهل القبور، وكالنُّصوص التي أراد الشَّارع الُمقدَّس قراءتها عند زيارة المشاهد الُمشرَّفة للنبيِّ الأكرم والأئمة الطَّاهرين (عليه وعليهم السلام)، فتلك النُّصوص وأمثالها يُطلق عليها اسم الزِّيارة أيضًا، وإن لم تقترن قراءتها بالحضور في مواضعها المخصوصة لها. ثمَّ إنَّ للزِّيارات غاياتٍ وآثارًا، فرديَّة واجتماعيَّة؛ كتعظيم المَزور وبيان فضله وإعلاء منزلته وتقوية أمره وتأييده بالوفادة عليه والاحتفاء به والالتفاف حوله، وإيجاد رابطة وعلقة بين الزائر والمَزور - إن لم تكن موجودةً قبل الزِّيارة -، أو توطيدها وتوثيقها - إن كانت موجودة -.

وإنَّ لزيارة الأئمة (عليهم السلام) - حضورًا أو نصوصًا - الأثر البالغ في تشييد المذهب القويم وإحياء معالم الدين وتقوية العلاقة بين الإمام (عليه السلام) والمؤمنين، ومن تلك الزِّيارات: زيارة آل ياسين، والتي يُزَار بها إمامُ زماننا القائم المهديّ بن الحسن (عجَّل الله فرجه الشَّريف)، والتي تناولتُها في هذه الصَّفحات القليلة بشرح مفرداتها والوقوف على بعض المعاني التربويَّة والعقديَّة فيها.

أسأل الله المنَّان بفضله والمتفضِّل بمنِّه أن يتقبَّل هذا العمل بأحسن قبوله، فقد كان هو الهادي إليه والموفِّقَ إلى إتمامه وإنجازه، إنَّه وليٌّ ذلك، والحمد لله ربِّ العالمين.

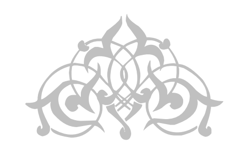
صالح جعفر



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سَلاَمٌ عَلَىٰ آلِ يَس، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللهِ وَرَبَّانِيَ آيَاتِهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللهِ وَنَاصِرَ حَقِّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللهِ وَتَرْجُمَانَهُ السَّلاَمُ عَلَيْكَ فِي آنَاءِ لَيْلِكَ وَأَطْرَافِ نَهَارِكَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللهِ الَّذِي ضَمِنَهُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ وَالْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ، وَعْداً غَيْرَ مَكْذُوبٍ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلاَمُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ

الْمَأْمُونُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ السَّلاَمُ، أُشْهِدُكَ يَا مَوْلاَيَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لاَ حَبِيبَ إِلاَّ هُوَ وَأَهْلُهُ، وَأُشْهِدُكَ يَا مَوْلاَيَ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتُهُ وَالْحَسَنَ حُجَّتُهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتُهُ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حُجَّتُهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَمُوسَىٰ بْنَ جَعْفَرٍ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَىٰ حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاكِراً وَنَكِيراً حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ، وَالْحَشْرَ حَقٌّ، وَالْحِسَابَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِمَا حَقٌّ، يَا مَوْلاَيَ شَقِيَ مَنْ خَالَفَكُمْ وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ، فَأَشْهَدْ عَلَىٰ مَا أَشْهَدْتُكَ عَلَيْهِ، وَأَنَا وَلِيٌّ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ، فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ، وَالْبَاطِلُ مَا أَسْخَطْتُمُوهُ، وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ، فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مَوْلاَيَ أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ وَمَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُمْ آمِينَ آمِينَ.



سَلامٌ عَلَى آلِ يَس

تحتاج هذه الجملة أنْ نقفَ عند كلماتها لنفهمَ ما وراء ظاهرها، خاصَّةً كلمة "السَّلام" المتكرّرة كثيرًا في فقرات هذه الزِّيارة بما يربو على عشرين مرَّة.

السَّلام

إنَّ السَّلامَ تحيَّةُ الإسلام وشعاره الجاري مجرى الشَّمس والقمر، والمتسابق مع عقارب السَّاعة، والذي يعبِّر عن غايةٍ ساميةٍ من غايات هذا الدِّين العظيم، ومقصد من مقاصده الشَّريفة، ألا وهو نشرُ العدل، وبسطُ السَّلام على ربوع الأرض.

وقد استفاضت الأخبار عن الرَّسول الأكرم وأئمَّة الهدى (عليهم السلام) في شأنِ السَّلام، منها قول الصَّادق (عليه السلام): "**ابدؤوا بالسَّلام قبل الكلام، فمَن بدأ بالكلام قبل السَّلام فلا تجيبوه**"[1].

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، باب التسليم، الحديث ٢.

وعن الإمام الصَّادق (عليه السَّلام) أنَّه قال: "إذا سلَّمَ أحدكم فليجهَر بسلامه. لا يقولُ سلَّمتُ فلم يُرَدَّ عليَّ، ولعلَّه يكون قد سلَّم، ولم يُسمِعهُم. فإذا ردَّ أحدُكم فليجهر بردِّه، ولا يقول المسلِّمُ سلَّمْتُ فلم يردُّوا عليَّ». ثمَّ قال: «كان عليٌّ (عليه السلام) يقول: لا تَغْضَبُوا ولا تُغْضِبوا، أفشوا السَّلام وأطيبوا الكلام، وصلُّوا باللَّيل والنَّاسُ نِيام تدخلوا الجنَّة بسلام، ثمَّ تلا قول الله (عزَّ وجلَّ): { السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ }[1]"[2].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): "إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) يحبُّ إفشاء السَّلام"[3].

وعن الإمام الصَّادق (عليه السَّلام) أيضًا: "من التَّواضع أن تسلِّمَ على من لَقِيْتَ"[4].

وعنه (عليه السَّلام): "كان رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يسلِّم على النِّساء ويردُدْنَ عليه السَّلام، وكان أميرُ المؤمنين (عليه السَّلام) يسلِّمُ على النِّساء، وكان يكره أنْ يسلِّم على الشَّابَّة منهُنَّ، فيقول:

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٧.

(٣) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٥.

(٤) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ١٢.

أتخوَّفُ أن يُعجبَني صوتُها فيدخُلَ عليَّ أكثر مِمَّا أطلُبُ من الأجر"[١].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تحثُّ وتحضُّ على إفشاء السَّلام في المجتمع الإسلاميّ وبين أفراده من دون تمايزٍ بين الذَّكَرِ والأنثى، والكبير والصَّغير، والغنيّ والفقير، والرَّفيع والوضيع، وفي كلِّ الأحوال والأوضاع؛ في المشي والرُّكوب، والقيام والقعود، والحلّ والتِّرحال، حتَّى عمَّ وجوب ردِّ السلام حال الصَّلاة المكتوبة، فأوجبَ الإسلامُ الردَّ إكرامًا للمسلِّمِ وتعزيزًا لهذا الشِّعار، وحِفاظًا عليه حتَّى في لحظات الانقطاع إلى الله (عزَّ وجلَّ) والتوجُّه الكلِّي إليه تعالى.

إذن السَّلام تحيَّةُ الإسلام وشعاره السيَّال آناء اللَّيل والنَّهار، بل هذا مطيَّة الإكرام والتعظيم والاحترام.

معنى السَّلام

اختلفوا في تفسير معنى السَّلام وتحديد معناه، تَبَعًا للاختلاف في منشأ اشتقاقه، والأقوال في ذلك خمسةٌ:

الأول: أنَّه مشتق من السلامة.

الثاني: أنَّه مشتقٌّ من السَّلْم بمعنى الصُّلح (بالفتح والكسر).

---

(١) الفروع من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٥، ص٥٣٥، كتاب النكاح، باب الغيرة، الحديث ٣.

الثالث: أنَّه مشتقٌّ من السَّلم بمعنى الاستسلام والمسالمة.

الرَّابع: أنَّه مشتقٌّ من التَّسليم بمعنى الانقياد.

الخامس: أنَّه مشتقٌّ من اسم السلام الذي هو أحد أسماء الله الحسنى.

وسواء قلنا باشتقاقه من هذه اللَّفظة أو تلك، فإنَّ السَّلام يحمل في طيَّاته إحدى غايات ثلاث، أو قل: إحدى رسائل ثلاث -إن لم تكن جميعها-، يحملها المسلِّم بسلامه إلى المسلَّم عليه، وتلك الرَّسائل هي:

رسالة الدُّعاء له بالسَّلامة.

رسالة التَّبشير له بالسَّلام والأمن.

رسالة إعلامٍ له بذلك.

ولعلَّ هذه الرَّسائل تختلف باختلاف المقامات؛ مقام السَّلام، ومقام المسلِّم، ومقام المسلَّم عليه.

وممَّا يؤيِّدُ هذا التفصيل ما ورد من روايات عنهم (عليهم السلام) في معنى السَّلام، فعن "عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن معنى التسليم في الصلاة فقال: «التسليم علامة الأمن وتحليل الصلاة»، قلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: «كان

الناس فيما مضى إذا سلم عليهم وارد أمنوا شره، وكانوا إذا ردوا عليه أمن شرهم، فإن لم يسلم لم يأمنوه، وإن لم يردوا على المسلم لم يأمنهم، وذلك خلق في العرب فجعل التسليم علامة للخروج من الصلاة، وتحليلاً للكلام، وأمناً من أن يدخل في الصلاة ما يفسدها. والسلام اسم من أسماء الله (عز وجل) وهو واقع من المصلي على ملكي الله الموكلين به»[١].

فالرِّسالة الأُولى من السَّلام في الصلاة والمتعلِّقة بذات المسلِّم هي الأمن لصلاته من أن يداخلها ما يُفسدها.

والرِّسالة الثانية إلى المَلَكَين وهي الإكرام والتحيَّة، وقد تكون إعلامهما بأنَّ المصلِّيَ لن يؤذيَهما بارتكاب المعاصي فعليهما منه السَّلام.

قال في البِحار بعد إيراد الخبر: "بيانٌ: قوله (عليه السَّلام): وأمنًا، أي: إيذانًا بأنَّهم فرغوا من الصلاة، فلا يصدر منهم بعد ذلك ما يُفسِدها مما يعمل في أثناء الصلاة، أو دعاء بالأمن عن عدم القبول"[٢].

وقال "داود بن كثير الرقي: قلت لأبي عبد الله: ما معنى السلام على رسول الله؟ فقال: «إنّ الله تبارك وتعالى لما خلق نبيه ووصيه وابنته وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا

(١) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص١٧٦.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٨٢، ص٣٠٧.

ويصابروا ويرابطوا وأن يتقوا الله ووعدهم أن يسلّم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور، ويظهر لهم السقف المرفوع ويريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لاشية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم وأن يكون لهم فيها ما يحبون وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك، وإنّما السلام عليه تذكرة نفس الميثاق وتجديد له على الله، لعله أن يعجله (عزّ وجلّ) ويعجل السلام لكم بجميع ما فيه»[1].

فأنت ترى أنَّ الإمام (عليه السلام) أوضح أنَّ السَّلام على رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يحمل في طيَّاته الدُّعاء للرسول (صلَّى الله عليه وآله) بأن يعجِّلَ اللهُ (عزَّ وجلَّ) له ما وعده من إرث الأرض حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[2]، كما أنَّ السَّلام تذكرةٌ للمسلِّم بالميثاق الذي أُخذ عليه بالصَّبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله (عزَّ وجلَّ).

وقال "رجلٌ لأمير المؤمنين (عليه السلام): ... فما معنى قول

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص٤٥١، كتاب الحجة، أبواب التواريخ، باب بلد النبي (صلَّى الله عليه وآله)، الحديث ٣٩.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

الإمام (السلام عليكم)؟ فقال: **إنَّ الإمام يترجم عن الله (عزَّ وجلَّ)، ويقول في ترجمته لأهل الجماعة أمانٌ لكم من عذاب الله يوم القيامة»**[١].

فمن هذه الروايات تبيَّنَ أنَّ السَّلام لا يقف عند حدود كونه تحيَّةً وافتتاحيَّةً للكلام، بل هو يحمل في ثناياه معاني أُخرى تختلف باختلاف المقام. غير أنَّ هناك معنى مشتركًا في أغلب موارده، ألا وهو الإشعار والإعلام برعاية الحقِّ الثَّابت للمسلَّم عليه في ذمَّة المسلِّم، وإعلامه بأنَّه هو وما يتعلَّق به، وما ثبت له من حقٍّ في حرزٍ حريز وأمنٍ وسلام من غوائل التفريط والإهمال والتعدِّي. فأنت حين تقول لمن تلقاه "السَّلام عليكم" ماذا تريد أن توصل إليه من رسالة؟!

ما تريد إلاَّ أن تُعلمَه أنَّه في أمن وأمان من قبلك وحفظ وسلام، وهو بسبب ذلك يشعر بأنَّ حقوقَه المادِّيَّة والمعنويَّة لن تنتقض ولن تبخس، فيردُّ عليك بالتَّحيَّة نفسها "وعليكم السلام"، فهذه التَّحيَّة وردُّها عهدٌ بينكما على مراعاة كلٍّ منكما لحقوق الآخر. وهذا هو ما أراده الإسلام من وراء مقولة **"أفشوا السَّلام"**[٢] و **"إفشاء السَّلام"**[٣].

---

(١) مَن لا يحضره الفقيه، للشَّيخ الصَّدوق، ج١، ص٣٢٠.

(٢) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٧.

(٣) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص٦٤٤، كتاب العشرة، باب التسليم، ح ٥.

وكذلك الزَّائر حينما يتوجَّه إلى المعصوم (عليه السلام) فيقول له: السَّلام عليك يا سيِّدي ويا مولاي. إنَّما يريد أن يعلمه ويقرّ له بأنّ ماله من حقِّ الطَّاعة والاتِّباع والخضوع والانقياد والتَّسليم المطلق، هذه الحقوق وأمثالها مما ثبت في ذِمَّة الزَّائر في حفظٍ وصَونٍ دائم، لا تُنسى ولا تُهمل، فسلام الزَّائر على المعصوم تجديد عهدٍ وتوكيد ميثاق برعاية حقِّ الولاية له.

فليس السَّلام مجرَّد تحيَّة جوفاء، ليس لها معنى إلاَّ افتتاح الكلام والإشعار بوجود المسلِّم، ولو كان ذلك كذلك لما صحَّ تكرار السَّلام أكثر من مرَّةٍ في المشهد الواحد والمحضر والمقام الواحد.

ففي زيارة عاشوراء - مثلاً- تكرَّر لفظ السلام عشر مرَّات.

وفي زيارة وارثٍ تكرَّر اثنَتي عشرةَ مرَّةً.

وفي زيارة آل ياسين -والتي نحن بصدد الحديث عنها- تكرَّر السَّلام فيها أربعاً وعشرين مرَّة.

فهل كلُّ ذلك لافتتاح الكلام أو الإشعار بوجود وحضور ملقي التَّحيَّة؟!

معنى الآل

كثيرًا ما تقترن إحدى كلمات خمس اسم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، وتلك الكلمات هي: آل، أهل، عترة، ذرِّية، أبناء. وقد يراد بها معنًى واحد، وإنْ كانت لها في اللُّغة دلالات متفاوتة أو متقاربة.

والمعنى الذي يراد من جميعها وعند إطلاقها هو فاطمة وبعلها وبنوها المعصومون (عليهم صلوات الله وسلامه). نعم كلمتا أبناء وذريَّة إذا أُضيفتا إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) لا تدلاَّن على أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكن قد تشمل الذُّرِّيَّة أميرَ المؤمنين (عليه السلام) تغليبًا في بعض موارد استعمالها، كما يظهر ذلك من الروايات.

فعن "غياث بن إبراهيم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين (عليهم السلام) قال: «سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن معنى قول رسول (الله صلى الله عليه وآله) "إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي" مَن العترة؟ فقال: أنا، والحسن، والحسين، والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حوضه»[1].

(١) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص٩٠ - ٩١.

وفي العيون "قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، أهم الآل أم غير الآل؟ فقال الرضا (عليه السلام): **«هم الآل»**[١].

وعن "محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): جعلت فداك من الآل؟ قال: **«ذرية محمد (صلى الله عليه وآله)»**. قال: فقلت: ومن الأهل؟ قال: **«الأئمة (عليهم السلام)»** [٢].

وعن "أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): من آل محمد (صلى الله عليه وآله)؟ قال: **«ذريته»**. فقلت: أهل بيته؟ قال: **«الأئمة الأوصياء»**. فقلت: من عترته؟ قال: **«أصحاب العباء»**[٣].

فالعترة هم الأئمة (عليهم السلام) كما في الرِّواية الأُولى.

والعترة هم الآل (عليهم السلام) كما في الرِّواية الثانية.

والعترة هم أصحاب العباء (عليهم السلام) كما في الرِّواية الرَّابعة.

والآل هم الذُّرِّيَّة كما في الرواية الثالثة والرابعة.

---

(١) عيون أخبار الرِّضا، للشَّيخ الصَّدوق، ج٢، ص٦٠.

(٢) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص٩٤.

(٣) المصدر السابق.

والأهل هم الأئمة (عليهم السلام) كما في الرواية الثالثة.

فنلاحظ أنَّ هذه الأسماء مصداقها واحدٌ وهم الأئمة المعصومون وفاطمة الزَّهراء (عليهم سلام الله أجمعين).

معنى ياسين

(يس) هو اسمٌ من أسماء النَّبيِّ الأعظم محمدٍ (صلَّى الله عليه وآله). فقد سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن معنى (يس) فقال: «اسم من أسماء النبي (صلى الله عليه وآله)، ومعناه: يا أيها السامع للوحي والقرآن الحكيم»[(١)].

فعن "أبي عبد الله قال: قال لي: «يا كلبيّ كم لمحمد (صلى الله عليه وآله) من اسم في القرآن؟» فقلت: اسمان أو ثلاثة، فقال: «يا كلبي له عشرة أسماء: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ }[(٢)]، وقوله: { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ }[(٣)]، و{ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا }[(٤)]، و{ طه * مَا

(١) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص٢٢.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الصف: ٦.

(٤) الجن: ١٩.

أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [١]، و{ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [٢]، و{ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ } [٣]، و{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } [٤]، و{ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } [٥]، وقوله: { فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا } [٦] فالذكر من أسماء محمد (صلّى الله عليه وآله) ونحن أهل الذكر. فاسأل يا كلبي عما بدا لك»، قال: نسيت والله القرآن كله، فما حفظت منه ولا حرفاً أسأله عنه"[٧].

قال في تفسير الفرقان: "فكما أنَّ (ن) اسمٌ من أسمائه (صلَّى الله عليه وآله) ولعلَّها اختصار عن نبوَّته، كذلك (يس) عن سماعه الوحي".

وعن سليم بن قيس قال: "سمعت عليًّا (عليه السلام) يقول: «رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) يس، ونحن آله»[٨].

---

(١) طه: ١-٢.

(٢) يس: ١-٤.

(٣) القلم: ١-٢.

(٤) المدثر: ١.

(٥) المزمل: ١.

(٦) الطلاق: ١٠-١١.

(٧) مختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان الحلِّي، ص٦٧ - ٦٨.

(٨) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج١٦، ص٨٦.

وعن الرِّضا (عليه السَّلام) قال: «أخبروني عن قول الله (عز وجل): ﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ فمن عنى بقوله يس؟» قالت العلماء: يس محمد (صلى الله عليه وآله) لم يشك فيه أحد، قال أبو الحسن: «فإنّ الله (عزّ وجلّ) أعطى محمدًا وآل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلاّ من عقله، وذلك أنّ الله (عزّ وجلّ) لم يسلم على أحد إلاّ على الأنبياء (صلوات الله عليهم) فقال تبارك وتعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[2]، وقال: ﴿ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[3]، ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولا قال: سلام على آل موسى وهارون، وقال (عزّ وجلّ): ﴿ سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴾[4] يعني: آل محمد (صلوات الله عليهم)»، فقال المأمون: لقد علمت أنَّ في معدن النبوة شرحَ هذا وبيانه"[5].

(١) الصافات: ٧٩.

(٢) الصافات: ١٠٩.

(٣) الصافات: ١٢٠.

(٤) الصافات: ١٣٠.

(٥) عيون أخبار الرِّضا، للشَّيخ الصَّدوق، ج٢، ص٢١٤.

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي " { يس*وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ }
قال الصادق (عليه السلام): «ياسين اسم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، والدَّليل قوله { إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } »[١].

وعن "ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: { سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ }
قال: السلام من رب العالمين على محمد وآله (صلى الله عليه وعليهم)، والسلامة لمن تولاَّهم في القيامة»[٢].

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٣، ص١٦٨.

(٢) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص١٢٢.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا دَاعِيَ اللهِ وَرَبَّانِيَ آيَاتِهِ

إنَّ أمامنا عنوانَين متقاربَين هما: عنوان الدَّعوة إلى الله، وعنوان الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر الذي هو أحد الواجبات الشَّرعيَّة.

والدَّعوة إلى الله إمَّا بوضع منهجٍ عباديٍّ ومعامليّ وترسيمِ طريقٍ سلوكيٍّ وأخلاقي، وكلُّ ذلك يقوم على محدِّدات عقائديَّة ومرتكزات معرفيَّة يقرُّها ويضعها الدَّاعي لمن يدعوه. وقد تكون الدَّعوة إلى الله عبر الدَّعوة إلى دين الله والسَّير على المنهج الذي خطَّه ورسمه رسول الله (صلَّى الله عليه وآله).

إذن هناك دعوةٌ إلى الله قد تتطلَّب تشريعًا وتقنينًا يوصل إلى مرضاته تعالى، وهناك دعوةٌ إلى الله لا تتطلَّب أكثر من تعريف الآخرين بالتَّشريع الإلهي القائم.

ثمَّ إنَّ الدَّعوة قد تستتبع جهادًا وقتالاً، وقد لا تستتبع ذلك. فالدَّعوةُ إليه تعالى عمليَّة تصحيحيَّة للمسار البشري، سواء كانت

الدَّعوة داخل البيت المسلم أو خارجه.

هذا بالنِّسبة لعنوان الدَّعوة، أمَّا عنوان الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فهي عمليَّة تصحيحيَّة تختصُّ بداخل البيت المسلم ومسار المؤمنين بردِّ المنحرفين منهم إلى الجادَّة وتقويمهم.

ونتيجة هذا التَّفريق بدت واضحةً؛ وهي أنَّ كلَّ أمرٍ بمعروفٍ ونهي عن منكر هي دعوةٌ إلى الله (عزَّ وجلَّ)، وليس كلُّ دعوةٍ إلى الله أمرٌ بمعروف ونهي عن منكر، إذا وضعنا في الاعتبار المعنى الفقهيّ المصطلح عليه والمشروط بشروط مقرَّرة فقهيًّا.

وهاهنا سؤالٌ يرد ذكره، وهو: لِمن يثبت حقُّ الدَّعوة إلى الله (عزَّ وجلَّ)؟ هل هو حقٌّ طبيعيٌّ ثابتٌ لكلِّ إنسانٍ؟ أي: إنَّ كلَّ مَن أراد أن يدعوَ إلى الله (عزَّ وجلَّ) من النَّاس، فله الحقُّ أنْ يتصدَّى ويضع منهجًا ويقنِّن ويرسم ويشرِّع قانونًا وطريقًا وشريعةً حسبما يرتئيه موصلاً إلى رضا الله سبحانه، تمامًا كما يفعله بعض المرتاضين من أصحاب الديانات الباطلة؟

والجواب: إنَّ مما لا شكَّ فيه أنَّ الدَّعوةَ إلى الله بالمعنى الذي تقدَّم غيرُ الدَّعوة إلى دين الله الحنيف والشَّرع القويم، والتي لا تتعدَّى تعريف

الآخرين بالدِّين وترغيبهم في اعتناقه والالتزام به، ولا تستتبع قتالاً وجهادًا، ولا شكَّ أنَّ الدَّعوة - بمعنى تعريف النَّاس بالدِّين - جائزةٌ للقادر عليها العارف بأساليب الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، بل هي واجبةٌ عليه متى توفَّرت شروط الوجوب.

أمَّا الدَّعوة التي تستتبع الجهاد والقتال، أو تلك التي تتطلَّب وضع شرعةٍ ومنهاج فليست من حقِّ أحدٍ من البشر إلاَّ مَن أذِن له الرَّحمن ورضي له قولاً.

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1]، أي: إنَّك يا محمَّد (صلَّى الله عليه وآله) قد أذن الله لك أن تتحمَّل مسؤوليَّة إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وفي سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[2].

فالرَّسول الأعظم (صلَّى الله عليه وآله) داعٍ إلى الله بإذنه لا تبرُّعًا من نفسه الشَّريفة، وفي سورة الأحقاف: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ

(١) إبراهيم: ١.

(٢) الأحزاب: ٤٥ - ٤٦.

وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ }[(١)]، فسمَّى اللهُ رسولَه { دَاعِيَ اللَّهِ } . فعن "محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: «إنَّ الله (تبارك وتعالى) أدَّب نبيَّه (صلى الله عليه وآله)، فلمَّا انتهى به إلى ما أراد، قال له: { إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }[(٢)]، ففوض إليه دينه فقال: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا }[(٣)]، وإنَّ الله (عزّ وجلّ) فرض الفرائض ولم يقسم للجد شيئاً وإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أطعمه السدس فأجاز الله (جلّ ذكره) له ذلك، وذلك قول الله (عزّ وجلّ): { هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }[(٤)]»[(٥)].

وعن "الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن

---

(١) الأحقاف: ٣١ - ٣٢.

(٢) القلم: ٤.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) ص: ٣٩.

(٥) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص٢٦٧، كتاب العقل والجهل، باب التفويض إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين، الحديث ٦.

حماد بن عثمان، عن زرارة، عـن أبي جعفـر عليـه الـسلام قـال: «وضع رسـول الله صـلى الله عليـه آلـه ديـة العـين وديـة الـنفس وحـرم النبيـذ وكـل مسـكر»، فقال له رجل: وضع رسول الله صلى الله عليه وآله من غير أن يكون جاء فيه شيء؟قال: نعم ليعلم من يطيع الرسول ممن يعصيه»[١].

وعن "محمد بن يحيى، عـن محمـد بـن الحسن قـال: وجـدت في نوادر محمد بن سنان عن عبـد الله بـن سـنان، قـال: قـال أبوعبـدالله (عليه السلام): لا والله ما فوَّضَ اللهُ إلى أحد من خلقه إلاَّ إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وإلى الائمَّة، قال (عزّ وجل): { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ }[٢]، وهـي جارية في الأوصياء (عليهم السلام)"[٣].

وقال "جابر: قال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه): إنَّ الله لما خلق السماوات والأرض دعاهن فأجبنه، فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقبلتاهـا، ثم خلق الخلق وفوض إلينا أمر

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص٢٦٧، كتاب العقـل والجهـل، بـاب التفـويض إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين، الحديث ٧.

(٢) النساء: ١٠٥.

(٣) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص٢٦٧، كتاب العقـل والجهـل، بـاب التفـويض إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وإلى الأئمة (عليهم السلام) في أمر الدين، الحديث ٨.

الدين، فالسعيد من سعد بنا، والشقي من شقي بنا، نحن المحلون لحلاله، والمحرمون لحرامه»[(١)].

فالرَّسول (صلَّى الله عليه وآله) هو الدَّاعي إلى الله ومن له حقّ الدَّعوة إليه (عزَّ وجلَّ) بالأصالة، فالدّعاء إلى الله من مناصب الرسول (صلَّى الله عليه وآله) ومقاماته، نعم هذا الحق وهذا المنصب وهذا المقام ثابتٌ للأئمَّة المعصومين (عليهم السَّلام) بالتَّبع.

فالإمام (عجَّل الله فرجه الشَّريف) داعٍ إلى الله بإذنه، وإضافة الدَّاعي إلى الله فيها نوع اختصاص، بأنَّ الإمام (عليه السلام) لا يدعو إلاَّ إلى الله، ولا ينطق إلاَّ عن الله.

وربانيَّ آياته

قال الإمام الكاظم (عليه السلام): «يا هشام نصب الحق لطاعة الله، ولا نجاة إلاّ بالطاعة، والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلاّ من عالم رباني، ومعرفة العلم بالعقل»[(٢)].

إنَّ الحكمة من عند الله تعالى، والله يؤتي الحكمة من يشاء، ما في

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج١٧، ص١٣.

(٢) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص١٧، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٢.

ذلك ريب، ولكن هل وصلت الحكمة إلينا منه تعالى مباشرة؟ إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) بعث أنبياء وأرسل رسلاً وأنزل كتبًا، وأقام أعلامًا وحججًا على عباده، وأوحى إليهم ما يحتاجه الناس من أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم، فالحكمة وصلت وتصل إلى الخلق عن طريق الحجج الإلهيَّة كالأنبياء والرُّسل والأوصياء.

وهذا ما أوضحه الإمام الصَّادق (عليه السلام) للمفضَّل بن عمر في قوله له: «... وبين المرء والحكمة نعمة العالم»[1] أي العالم الربَّاني.

وبهذا نفهم التَّقسيم الثلاثي الوارد في كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام): «النَّاس ثلاثة: عالم ربَّاني، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع»[2].

وقُيِّدَ العالمُ (بالرَّبَّاني)؛ لأنَّ العلم الذاتي ليس إلاَّ لله تعالى، فلا أحد يتَّصف بالعلم الذَّاتي إلاَّ هو (عزَّ وجلَّ)، فهو عالِمٌ بالذَّات ومَن سواه إن كان عالمًا فبالعرض وبالغير، قال تعالى: { الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }[3]، وقال: { وَعَلَّمَ آدَمَ

(١) الخصال، للشَّيخ الصَّدوق، ص١٨٦.

(٢) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص٢٧، كتاب العقل والجهل، الحديث ٢٩.

(٣) الرحمن: ١-٤.

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... } [١]، فالعلم لله ومن الله، وقد قال لرَّسوله الأعظم (صلَّى الله عليه وآله): { وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } [٢]، وقال: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [٣].

فهو (عزَّ وجلَّ) اختار لحكمته الصّفوة من عباده، وأودعها إيَّاهم، فالعالم الرَّبَّانيُّ مَن كان علمه من عند الرَّبِّ (عزَّ وجلَّ) مباشرةً، وله اتصالٌ بالسماء؛ وذلك هو النَّبيُّ والإمام، ومَن سواهما فمتعلِّمٌ منهما على سبيل نجاةٍ مهما بلغ في العلم رُقيًّا، أو جاهل يتبع كلَّ ناعق.

وقد يعترض سؤالٌ في البين مفاده: هل معنى ذلك أنَّ هذا الاسم "العالم الرَّباني" لا يُطلق إلاَّ على مَن يتلقَّى علمه عن الله (عزَّ وجلَّ) وحيًا أو إلهامًا؟ بحيث يكون إطلاقه على غيره خطأً أو مجازًا؟

الجواب: إنَّ هذا اللفظ ككثير من الألفاظ التي تُعدُّ معانيها ومفاهيمها مفاهيم مشكِّكة؛ تنطبق على مصاديقها بالتَّفاوت، نعم المصداق الأتمّ والفرد الأكمل لهذا المفهوم هم أهل البيت (عليهم

(١) البقرة: ٣١.

(٢) النساء: ١١٣.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

السلام)، ولذا نرى القرآن الكريم أطلقه على بعض علماء بني إسرائيل، قال تعالى: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ }[1]، كما وردت هذه اللفظة أيضًا وصفًا لأنصار أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، ففي كامل الزيارات: "ثمَّ تستقبل قبور الشُّهداءِ قائماً فتقول:

«السَّلامُ عَلَيْكُمْ أيُّهَا الرَّبانيُّونَ، أنْتمْ لَنَا فَرَطٌ وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ وأنْصارٌ، أبْشِرُوا بِمَوْعِدِ اللهِ لا خُلْفَ لَه، وَأنَّ اللهَ مُدرِكٌ بِكُم ثأرَكُمْ، وَأنْتُمْ سادَةُ الشُّهَداءِ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»"[2].

وقد قيل في معنى الرَّباني: إنَّه المتألِّه العارف بالله المنقطع إلى الله علمًا وعملاً. وأهل البيت (عليهم السلام) أحقُّ بهذا الوصف تمامًا كأيِّ وصفٍ آخر من أوصاف الكمال والجلال، فالإنسان كعنوان وحقيقة هم مصداقه الأتم، وهم المصداق الأكمل للعبد، والعالم الرَّباني.

ولذلك يقول الإمام الباقر (عليه السلام) في الآية: "{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

(١) المائدة: ٦٣.

(٢) كامل الزيارات، للشَّيخ ابن قولويه، باب زيارات الحسين بن علي، الحديث ١٧، ص٣٨٩.

شُهَدَاءَ }[١]، قال: «فينا نزلت»[٢]. فعنوان الأحبار والرَّبانيين كما انطبق على غيرهم انطبق عليهم ولكن بدرجةٍ أعلى وأولى.

عن أبي عمرو الزبير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنّ مما استحقت به الامامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار ثم العلم المنور بجميع ما يحتاج إليه الأُمّة من حلالها وحرامها، والعلم بكتابها خاصة وعامة والمحكم والمتشابه ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخة ومنسوخة». قلت: وما الحجة بأنّ الإمام لا يكون إلاّ عالماً بهذه الأشياء التي ذكرت؟ قال: «قول الله فيمن أذن الله لهم في الحكومة وجعلهم أهلها: { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ }، فهذه الائمة دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم، وأما الأحبار فهم العلماء دون الربانيين، ثم أخبر فقال: { بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } ولم يقل: بما حملوا منه»[٣].

خلاصة: إنَّ (الرَّباني) وصفٌ يختصُّ بأهل البيت (عليهم السلام)

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) تفسير العيَّاشي، الحديث ١١٨، الصفحة ٣٢٢.

(٣) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٥، ص ١٤٩-١٥٠.

في أعلى درجاته والإمام الحجَّة (عجَّل الله فرجه الشَّريف) هو ربَّانيٌّ هذا الزَّمان، العالم بالله، العارف بربِّه حقَّ المعرفة، المنقطع إليه علمًا وعملاً. ثم إنَّ العالم الرَّبانيّ هو ذلك العالم الذي يتحمَّل مسؤوليَّة تربية العباد، والسَّير بهم نحو الله، إذا فهمنا ذلك اتَّضحت لنا نكتة الإضافة إلى الآيات ونكتة العطف على "داعي الله".

فإنَّ نكتة إضافة الرَّبانيّ إلى آيات الله (ربانيّ آياته)، فإنَّ آيات الله آيات كونيَّة وآيات قرآنيَّة، والآيات الكونيَّة لا حصر لها ولا عدّ، منها آيات الآفاق، وآيات الأنفس، ومنها آيات لقوم يؤمنون، وأُخرى لقوم يعقلون، ولقوم يذكرون، وآيات لأُولي الألباب، وآيات للعالِمين -أي لأهل العلم-، وآيات للعالَمين -أي للعموم-، وآيات للناس، وآيات منها دلالات يفهمها العام، وآيات ذات دلالات وإشارات يفهمها الخاص فقط، وهذه الخصوصيَّة تختلف باختلاف القابليَّات.

كلُّ هذه الآيات الكونيَّة، وتلك القرآنيَّة بخاصِّها وعامِّها ومطلقها ومقيَّدها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ومجملها ومفصَّلها، كلُّ تلك الآيات بأصنافها وأقسامها معلومةٌ ومُدرَكة للإمام (عجَّل الله فرجه الشَّريف) لا تغيب عنه، بل هي حاضرةٌ لديه، محيطٌ بها، علمُه بها

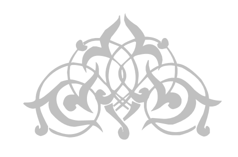
علم إحاطة وشمول، علم حضور وهيمنة، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها، فهو ربَّانيُّها يعلمها بتعليم الله (عزَّ وجلَّ)، فقد ورد عنهم (عليهم السلام): «لولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرناكم بما يكون إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: { يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ }[1]»[2]، فكلُّ أسرار الخليقة لديه (عليه السلام) كما أنَّ أسرار القرآن عنده.

وأمَّا نكتة العطف على "داعي الله"، فإنَّ الدَّعوة إلى الله تفتقر إلى قدرات وقابليَّات وخصائص؛ منها العلم بالآيات والعلم بأسرار الخلق والخليقة ليتسنَّى لداعي الله أن يوصل الخلق إلى الحق.

---

(١) الرعد: ٣٩

(٢) مستدرك سفينة البحار، للشيخ النمازي الشاهرودي، ج١، ص ٢٩٦.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللهِ وَدَيَّانَ دِينِهِ

باب الشَّيء: ما يدخل إليه من خلاله، ويخرج ما فيه من خلاله أيضًا، فباب الشَّيء منفذٌ للوصول إليه والصُّدور عنه. وباب الله إلى الخلق، وباب الخلق إلى الله هم محمد وآل محمد (صلَّى الله عليهم أجمعين).

عن الإمام الباقر (عليه السلام): «نحن حجة الله، ونحن باب الله»[1]. وفي الزيارة الجامعة: «من أراد الله بدأ بكم»؛ لأنهم عليهم السلام:

١- باب معرفة الله

يقول الإمام الصَّادق (عليهم السلام): «الأوصياء هم أبواب الله (عزَّ وجلَّ) التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله (عزَّ وجلَّ)، وبهم احتجَّ الله (تبارك وتعالى) على خلقه»[2].

---

(١) بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفار، ص ٨١.

(٢) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ١٩٣، كتاب الحجَّة، باب أنَّ الأئمة (عليهم السلام) خلفاء الله (عزَّ وجلَّ) في أرضه وأبوابُه التي منها يؤتى، الحديث ٢٩.

فمعرفة الله الحقَّة لا تتأتَّى للعباد إلاَّ عن طريق أهل البيت (عليهم السلام)، فمن التجأ إلى غيرهم طالبًا معرفة الله ضلَّ وغوى، وعاش يطلب سرابًا، ويعتقد بجهالات وأباطيل، ودونك فرق المسلمين وطوائفهم التي نصبت لها أئمة من غير أوصياء الله ورسوله؛ يعتقدون أقوالهم ويقتدون بأفعالهم، فهم بين قائل بالتجسيم وقائل بالحلول وقائل بالاتحاد، وآخر يقول بالجبر أو بالتفويض، ومنهم من نسب لله الجهل وآخر نسب إليه العجز وثالث نسب إليه الظلم... وما إلى ذلك من الأقوال والآراء التي جامعها أنَّها نتاج البعد عن أبواب الله، فمن طرق غير باب الله فتح له الشيطان أبوابه على مصاريعها.

٢- باب قبول الأعمال

تشير الآية الكريمة: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (١) إلى أنَّ العمل والقول يصعدان إلى الله (عزَّ وجلَّ)، وهذا الصعود يقتضي أن يكون عِبْرَ بابٍ شرعه الله لصعود العمل، وصعود الكلم الطيب، وقد دلَّت الروايات الشريفة أنَّ العمل الصالح والكلم الطيِّب لا يردان على الله (عزَّ وجلَّ) إلاَّ عِبْرَ ولاية أهل البيت (عليهم

---

(١) فاطر: ١٠

السلام)، قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآل): «والذي نفسي بيده لو أنَّ رجلاً صفن بين الركن والمقام صائمًا وراكعًا وساجدًا ثم لقي الله (عزَّ وجلَّ) غير محبٍّ لأهل بيتي لم ينفعه ذلك»[1]، وفي رواية أُخرى: «لو أنَّ رجلاً صفن بين الركن والمقام ثم لقي الله مبغضًا لأهل بيتي دخل النار»[2].

٣- باب الدعاء والتضرُّع إلى الله والاستغفار

ومما يجلي هذا المعنى بصورةٍ واضحة قوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا }[3].

وعن عبيد الله بن عبد الله عمَّن سمع الباقر (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): "من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله، ومن أدرك والديه فلم يغفر له فأبعده الله، ومن ذكرت عنده فلم يصلِّ علي فلم يغفر له فأبعده الله»[4].

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٧، ص ١٠٥.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٣٦، ص ٣١٥.

(٣) النساء: ٦٤

(٤) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٩١، ص ٧٤.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصَّلاة على النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وآله)، فإنَّ الصَّلاة على النَّبي (صلَّى الله عليه وآله) مقبولةٌ ولم يكن الله ليقبل بعضًا ويردَّ بعضًا»[١].

وعنه (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): صلاتكم عليَّ إجابةٌ لدعائكم وزكاةٌ لأعمالكم»[٢].

٤- باب نزول الرَّحمة والفيض الإلهي

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٣]، وفي الزِّيارة الجامعة: «أنتم الرَّحمة الموصولة، والآية المخزونة، والباب المبتَحَن به النَّاس».

وفي فلاح السَّائل: إذا أتيت مصلاَّك فاستقبل القبلة وقل: «اللهم إني أقدم إليك محمدًا نبيَّك نبيَّ الرَّحمة وأهلَ بيته الأوصياء بين يدي حوائجي وأتوجه بهم إليك فاجعلني بهم عندك وجيهًا في الدُّنيا والآخرة ومن المقرَّبين، اللهم اجعل صلاتي بهم مقبولةً، ودعائي بهم مستجابًا، وذنبي بهم مغفورًا، ورزقي بهم مبسوطاً ...»[٤].

---

(١) الأمالي، للشَّيخ الطوسي، ص ١٧٢.

(٢) الأمالي، للشَّيخ الطوسي، ص ٢١٥.

(٣) الأنبياء: ١٠٧

(٤) فلاح السائل، للسيد ابن طاووس، ص ١٨٣.

ثُمَّ إنَّ الباب يُفتح ويغلق، ومن شروط فتح أبواب رحمة الله (عزَّ وجلَّ) - وهم الأئمة الطَّاهرون (عليهم السلام)- الإيمان بهم والتَّصديق والتَّسليم لهم، قال أمير المؤمنين عليٌّ (عليه السلام): «أنا حامل العرش مع الأبرار، وأنا صاحب الكتب السَّالفة، وأنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذَّب به ولا يذوق الجنَّة»[1].

وَدَيَّانَ دِينِهِ

الدِّين يأتي على معانٍ عِدَّة، منها:

الطَّاعة: قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[2]، ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[3].

ويأتي على معنى الجزاء ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4]، أي: مالك يوم الجزاء.

ويأتي على معنى الدِّيانة؛ وهي مجموع الشَّريعة والعقيدة، قال

---

(١) مشارق أنوار اليقين، للحافظ رجب البرسي، ص ٢٧٠.

(٢) البيّنة: ٥

(٣) النحل: ٥٢

(٤) الفاتحة: ٤

تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[(١)].

والدَّيَّان: اسمٌ مُشتَقٌّ من الدِّين بمعنى الجزاء، فيكون معناه القاضي والحاكم والسَّائس، قال الشَّاعر:

لاهِ ابنَ عمِّكَ لا فضلت في حَسَبٍ عنِّي ولا أنت ديَّاني فتخزوني

فالدَّيَّان هنا الذي يلي أمرَك ويسوسك[(٢)].

والدَّيَّان: اسمٌ من أسماء الله (عزَّ وجلَّ)، إذ هو "ديَّان يوم الدِّين".

وقال "رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) لجعفر حين قدم من الحبشة: «ما أعجب ما رأيت؟» فقال: رأيت حبشيَّة مرَّت وعلى رأسها مكتل فمرَّ رجلٌ فزحمها فطرحها ووقع المكتل عن رأسها فجلست، ثم قالت: ويلٌ لك من ديَّان يوم الدِّين إذا جلس على الكرسي وأخذ للمظلوم من الظالم، فتعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله)"[(٣)].

وقد وُصِف أميرُ المؤمنين (عليه السلام) وسُمِّيَ بهذا الاسم وبهذا المعنى، قال رسول الله (صلَّى الله عليه وآله): «يا علي، أنت ديَّان هذه

---

(١) التوبة: ٣٣

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج١١، ص ٥٢٤، مادَّة (فضل).

(٣) الروضة من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٨، ص ٣٦٦، الحديث ٥٥٧.

الأمَّة»[١]، أي: مَن له مقاليد الحكم منها بدين الله.

فإذا أُخِذ الدِّين بمعنى الجزاء كان معنى (ديَّان دينه): القاضي بقضائه والحاكم بحكمه والمجازي بجزائه. فالجزاءات الإلهيَّة والحكم والقضاء الإلهي تجريه الأئمة الطَّاهرون (عليهم السلام) في الدُّنيا والآخرة، ويؤيِّد هذا المعنى ما ورد في الزيارة الجامعة: **«وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم»**.

وإذا أخذنا الدِّين بمعنى الدِّيانة، أي: الشِّرعة والمنهاج الإلهي، فمعنى هذا التَّركيب الشَّريف (ديَّان دينه) أنَّ الإمام (عجَّل الله فرجه) هو القيُّوم على دين الله والحافظ له والذي يلي أمره ويدبِّر شؤونه، والمجدِّد - بالجيم - لما ورد من أعلام الدِّين وسنن خاتم النَّبيين (صلَّى الله عليه وآله).

---

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٤، ص ٢٧٢.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللهِ وَنَاصِرَ حَقِّهِ

وردت في القرآن الكريم عِدَّة آيات تتضمَّن كلمة (خليفة) وأخواتها من مشتقَّات الخلافة، والتي تعبِّر عن خلافة الإنسان في الأرض، وبمراجعة تلك الآيات يتَّضح لنا أنَّها على طائفتَين.

فالطَّائفة الأُولى: ما تشير إلى خلافة الإنسان لله في الأرض؛ يمثِّله، وينوب عنه في تدبير شؤون العباد فيأخذ بأيديهم إلى طريق هدايته، ويسلك بهم سبل إرادته، ويذودهم عن الضلالة، ويخرجهم من غبش الجهالة، ويقيم الحق ويمحو الباطل، وينشر العدل ويزيل الظلم.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: **{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ... }** [1]، وقوله تعالى: **{ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي**

(١) البقرة: ٣٠-٣١

الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... }[1].

أمَّا الطَّائفة الثانية من الآيات: فتلك التي تتناول الخلافة الوجوديَّة لبني البشر بعضهم لبعض، كلَّما انقرض قرن خلف من بعدهم قرن آخرون، ومن أمثلة تلك الطائفة قوله تعالى: { أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ... }[2]، وقوله تعالى: { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ... }[3]، وآيات أُخرى عديدة.

ومعنى الخلافة لغةً: هو قيام شيء مقام شيء آخر، أو هي: "النيابة عن الغير إمَّا لغيبة المنوب عنه، وإمَّا لموته، وإمَّا لعجزه، وإمَّا لتشريف المستخلف"[4].

---

(١) ص: ٢٦

(٢) الأعراف: ٦٩

(٣) الأعراف: ٧٤

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادَّة (خلف).

قال في تفسير الميزان: "والخلافة: وهي قيام شيء مقام آخر لا تتمُّ إلاَّ بكون المستخلَف حاكيًا للمستخلِف في جميع شؤونه الوجوديَّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف"[١].

وعلى هذا، فالإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف) خليفة الله، أي: نائبه في تدبير شؤون العباد وسوسهم وتربيتهم وتزكيتهم والعروج بهم إلى معارج الكمال الإنساني.

وهو خليفة رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) لأنَّ مهامه ووظائفه هي وظائف الأنبياء والرُّسل، وما ثبتت لهم من الخصائص والمقامات ثابت له إلاَّ النبوَّة، بل إنَّ كلَّ النُبُوَّات السَّابقة كانت كالمقدّمة الطويلة الضاربة في عمق التاريخ الإنساني ليوم ظهوره (عجَّل الله فرجه الشَّريف)، إذ في ذلك اليوم يُظهر الإمام دين الله على الدِّين كلِّه ولو كره المشركون، ويعمُّ العدل ربوعَ الأرض، وذلك العدل الذي كان يسعى إلى نشره وبسطه كلُّ الأنبياء والرُّسل، ولم تتهيَّأ لهم الظُّروف لإقامته، ولعلَّه لذلك ناسب أن يعطف على قوله "السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقَّه"؛ حيث سيكون الإمام (عليه السلام) المصداق

(١) تفسير الميزان، للعلاَّمة الطباطبائي، ج١، ص ٦٤.

الأتمَّ والأجلى لهذا المفهوم وهذا المعنى "ناصر حقِّ الله"، فإنَّ الأنبياء - كما سلف القول- لم تتح لهم الفرص الكافية ليبسطوا العدل ويظهروا الحقَّ كلَّ الحق على أتمِّ الوجوه، بينما سيكون زمانه (سلام الله عليه) زمانًا ليس للباطل فيه راية ولا للظلم فيه آية، زمان كلُّه حق، وكلُّه عدل، وكلُّه أمن، وكلُّه سعادة ورفاهية.

ولا يتبادر إلى الذهن -لما قدَّمناه- أنَّ منصب الخلافة للإمام (عليه السلام) متوقِّف على مزاولة الحكم السياسي وإدارة شؤون الدَّولة، وأنَّ أيَّ إمام من الأئمة الطَّاهرين (عليهم السلام) لم يزاول الحكم والسياسة فليس بخليفة الله؛ لأنَّ الخلافة الإلهيَّة أوسع وأكبر وأعمق وأدق، وما الحكم والسلطنة إلاَّ مظهر من مظاهر خلافته لله (عزَّ وجلَّ)، فالخلافة ثابتة له في غيبته وحضوره، وفي عزلته وتصدِّيه، نعم ظهور خلافته ظهورًا تامًّا يكون عند إشراق نوره، وظهور شخصه من وراء السَّحاب.

ونختم هذه الفقرة بهذه الإشارة، وهي: من لوازم خلافة الإمام (عليه السلام) لله ونيابته عنه (عزَّ وجلَّ) أنَّ طاعة الإمام هي طاعة الله، ومعصيته معصية الله، ورضاه رضا الله، وغضبه غضب الله.

قال الإمام الصَّادق (عليه السلام) في قول الله (عزَّ وجلَّ) ﴿ فَلَمَّا

آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ } (١) فقال: «إنَّ الله (عزَّ وجلَّ) لا يأسف كأسفنا، ولكنَّه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون، وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه، وسخطهم سخط نفسه، لأنّه جعلهم الدُّعاة إليه والأدلاَّء عليه، فلذلك صاروا كذلك وليس أنَّ ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: "من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها"، وقال: { مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } (٢)، وقال: { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } (٣) فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك، وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ...»(٤)، والحديث طويلٌ اقتبسنا منه موضع الحاجة.

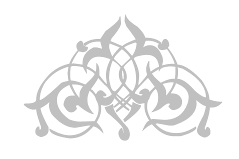
---

(١) الزخرف: ٥٥

(٢) النساء: ٨٠

(٣) الفتح: ١٠

(٤) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ١٤٤-١٤٥، كتاب التوحيد، باب النوادر، الحديث ٦.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ وَدَلِيلَ إِرَادَتِهِ

الحُجَّة: هو الدَّليل والبرهان، وجمعها: حجج، والحُجَّة: ما تحتَجُّ به على الخصم، ويحتجُّ به الخصمُ عليك. وحُجَّة الله: ما يحتجُّ به تعالى على العباد، ولله الحُجَّة البالغة.

والحجَّة حُجَّتان؛ حجَّة باطنةٌ هي العقل، وأُخرى ظاهرة هي الأنبياء والرُّسل والأئمة (عليهم صلوات الله).

قال الإمام الصَّادق (عليه السلام): «حُجَّة الله على العباد النَّبيّ، والحُجَّة فيما بين العباد وبين الله العقلُ»[1].

وقال (عليه السلام): «ما زالت الأرض إلاَّ ولله (تعالى ذكره فيها) حُجَّة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا تنقطع الحُجَّة من الأرض إلاَّ أربعين يومًا قبل القيامة، فإذا رفعت الحجَّة أغلق باب التوبة ولا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجَّة، أولئك شرار مَن

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ٢٥، كتاب العقل والجهل، الحديث ٢٢.

خلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامة»[١].

والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في وصيَّتِه لهشام بن الحكم يقول: «يا هشام، إنّ لله على الناس حجَّتَين؛ حجَّة ظاهرةً وحُجَّة باطنة، فأمَّا الظَّاهرة فالرُّسل والأنبياء الأئمة (عليهم السلام)، وأمَّا الباطنة فالعقول»[٢].

والإمام المهديُّ المنتظَرُ (عليه السلام) هو خاتم الأوصياء وخاتم الحجج الإلهيَّة.

ودليل إرادته

لله إرادتان؛ إرادة تكوينيَّة: وهي التي يشير إليها قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[٥].

وإرادة تشريعيَّة: وهي التي يشير إليها قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

---

(١) بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفار، ص ٥٠٤.

(٢) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ١٦، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٢.

(٣) النحل: ٤٠

(٤) يس: ٤٣

(٥) يونس: ٩٩

يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا }[1]، وقوله: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }[2]، وقوله: { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }[3]، وقوله: { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ... }[4].

وكلُّ حالات المعصوم تدلُّ على إرادة الله (عزَّ وجلَّ) وتعبِّرُ عنها. فما يفعله المعصوم يريده الله، وما يقوله المعصوم هو وحيٌ من الله وتعبيرٌ عن إرادة الله، فالفعل والقول والفكر والشُّعور، هذه الأركان الأربعة للشَّخصيَّة الإنسانيَّة والتي أخلصها المعصوم لله، واستخلصها الله لنفسه، هذه كلُّها -جملةً وتفصيلاً- تعبِّرُ عن الإرادة الإلهيَّة، وهي المرآة الصَّافية التي تنعكس فيها إرادة الرَّب (عزَّ وجلَّ)، فتظهر للعباد وتتجلَّى لهم فتكون حجَّةً عليهم. فإذا رأينا المعصوم (عليه السلام) -مثلاً- قد أشاح بوجهه عن سلوكٍ ما أو شخصٍ ما أو قولٍ ما، علمنا أنَّ ذلك الأمر لا

---

(١) النساء: ٢٨

(٢) البقرة: ١٨٥

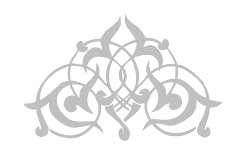
(٣) النساء: ٢٦

(٤) الزمر: ٧

يرضي اللهَ بدرجةٍ ما. وإذا رأيناه قد أقبل بوجهه على شخصٍ ما علمنا أنَّ هذا الإقبال لا يسخط الله، وكذا لو أقرَّ سلوكًا ما فرديًّا أو اجتماعيًّا أو لم يمتعض من قولٍ ما، أدركنا أنَّ كلَّ ذلك غيرُ مكروهٍ لله.

وفي الزِّيارة: «وإرادة الربِّ في مقادير أُموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، والصَّادر من أحكام العباد»[1].

(١) راجع: مفاتيح الجنان، للمحدِّث الشيخ عبَّاس القمي، الزِّيارة الجامعة الكبيرة.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللهِ وَتَرْجُمَانَهُ

السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي آنَاءِ لَيْلِكَ وَأَطْرَافِ نَهَارِكَ

ما معنى التلاوة، وما الفرق بينها وبين القراءة؟

يقول الرَّاغب الأصفهانيُّ: "التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة، تارة بالقراءة، وتارة بالارتسام لما فيها من أمر ونهي، وترغيب وترهيب. أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة فكل تلاوة قراءة، وليس كل قراءة تلاوة"[١].

مراتب التلاوة

للتلاوة بمعنى القراءة مراتب، وعلى صعيد العمل والتطبيق أيضًا لها مراتب ودرجات، وأعلى تلك المراتب والدرجات بكلا معنيي التلاوة هي تلاوة المعصوم (عليه السلام)، فالإمام (عجَّل الله فرجه) هو التالي

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادَّة (تلو).

الحقّ للقرآن.

فعن أبي ولاَّد قال: "سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله (عزَّ وجلَّ): { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ }[1] قال: «هم الأئمة (عليهم السلام)»[2].

ومعنى التلاوة الحقَّة والدرجة العليا من التلاوة هو ما بيَّنه الإمام الصَّادق (عليه السلام) عند تفسير قوله تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ } قال: «يتلون آياته، ويتفقَّهون به، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعدَه، ويخافون وعيده، ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره، وينتهون بنواهيه، ما هو واللهِ حفظ آياته، ودرس حروفه، وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفَه، وأضاعوا حدوده، وإنَّما هو تدبُّر آياته والعمل بأحكامه»[3].

قال تعالى: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ }[4].

---

(١) البقرة: ١٢١

(٢) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ٢١٥، كتاب الحجة، باب أنَّ من اصطفاه الله من عباده وأورثهم كتابه هم الأئمة (عليهم السلام)، الحديث ٤.

(٣) مستدرك سفينة البحار، للشيخ النمازي الشاهرودي، ج١، ص ٤٨٨.

(٤) ص: ٢٩

فتلاوة الإمام للقرآن الكريم في أعلى صورها، وأرفع درجاتها، وأكمل مراتبها، فهو يقرأ القرآن بأتمِّ وعيٍ وإدراك، وأدقِّ فهمٍ وفقهٍ لمعانيه ومراميه، يقرأه عن إدراك تامٍّ وشاملٍ ودقيقٍ لظاهره وباطنه.

وهو يعمل بالقرآن ويقتفي أثره، ويتلو أمرَه ونهيَه، وإرشاده وتعليمه في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، بل هو القرآن الناطق، والقرآن المتجسِّد الحيُّ المتحرِّك.

ترجمان القرآن

ترجمة القرآن على أنحاء:

١. ترجمة لفظه إلى لفظٍ آخر، وهذه ترجمة لفظيَّة.

٢. ترجمة معانيه الباطنة إلى معانٍ ظاهرةٍ يمكن إدراكها لجميع البشر، وهذه ترجمةٌ معنويَّة.

٣. ترجمة تعاليميَّة إلى واقع خارجي، وهذه ترجمة عمليَّة.

فالقرآن له ترجمات ثلاث: لفظيَّة، ومعنويَّة، وعمليَّة. وهذه التَّرجمات لا تتأتَّى على أتمِّ وجوهها لكلِّ أحدٍ إلاَّ للإمام (عليه السلام).

عن سدير عن الباقر (عليه السلام) قال: "قلت له: جعلت فداك

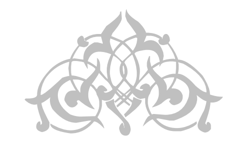
ما أنتم؟ قال: نحن خُزَّان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجَّة البالغة على مَن دون السماء وفوق الأرض»[(١)].

وعن الثِّمالي عن عليٍّ بن الحسين (عليهما السلام): قال: «ليس بين الله وبين حجَّته حجاب، فلا لله دون حجَّته ستر، ونحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سرِّه»[(٢)].

---

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ١٩٢، كتاب الحجة، باب أنَّ الأئمة (عليهم السلام) ولاة أمر الله وخزنة علمه، الحديث ٣.

(٢) معاني الأخبار، للشَّيخ الصَّدوق، ص ٣٥.



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ

البقيَّة: مَثَلٌ في الجود والفضل، يقال: فلان بقيَّة قومه، أي: من خيارهم، وفي لسان العرب في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [(١)] "معناه: أُولو تمييز، ويجوز: أُولو بقيَّة، أُولو طاعة، قال ابن سيده: فُسِّرَ بأنَّه الإبقاء، وفُسِّرَ بأنَّه الفهم، ومعنى البقيَّة إذا قلت: فلان بقيَّة، فمعناه: فيه فضل فيما يمدح به"[(٢)].

والبقيَّة أيضًا: ما بقي من الشيء، وفي مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [(٣)]. قال: "البقيَّة بمعنى الباقي، أي: ما أبقى الله لكم من

---

(١) هود: ١١٦

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ج١٤، ص ٧٩، مادَّة (بقي).

(٣) هود: ٨٦

الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف"[١] انتهى.

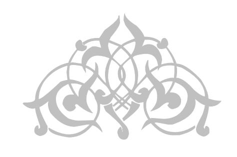
فالبقيَّة الاسمُ من الإبقاء، ومعناها فيما نحنُ فيه أنَّ الإمام المهدي (عجَّل الله فرجه الشَّريف) هو ما أبقاه الله (عزَّ وجلَّ) من ذراري الأنبياء والأوصياء، وهو الرَّحمة التي استبقاها الله لعباده ومنَّ بها عليهم، وهو الحُجَّة الباقية من تلك الحجج البالغة الماضية.

وإضافة اسم الجلالة إلى بقيَّة، تشبه إضافة الفاعل إلى المصدر، فكما تقول: عطاء الله ورزق الله وخلق الله، فالإمام هو بقيَّة الله، أي: البقيَّة التي أبقاها الله من آل بيت محمَّدٍ (صلَّى الله عليه وعليهم أجمعين).

وعن الباقر (عليه السلام): «أول ما ينطق به القائم (عليه السلام) حيث خرج هذه الآية { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } ، ثم يقول: أنا بقية الله، وحجته، وخليفته عليكم، فلا يسلِّم عليه مسلمٌ إلاَّ قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه»[٢].

(١) مجمع البيان، للطبرسي، ج٥، ص ٢٨٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصَّدوق، ج١، ص ٣٣١.



السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مِيثَاقَ اللهِ الَّذِي أَخَذَهُ وَوَكَّدَهُ

ما هو الميثاق؟

الميثاق لغةً: مفعال من الوثيقة إمَّا بيمين وإمَّا بعهد أو غير ذلك من الوثائق، فالميثاق هو ما وقع التوثيق به، كما أنَّ الميقات ما وقع التوقيت به. فالعهد الذي يأخذه طرف ما على طرفٍ، وفيه من التغليظ والتوكيد ما يوثق به ويقيَّد يُسمَّى ميثاقًا.

وقد تأتي صيغة مفعال اسمًا للزمن الذي وقع فيه الفعل وليست اسمًا لآلة وقوعه، كما هو معنى ميلاد الرجل؛ أي الوقت الذي ولد فيه. وكذا الميعاد، والمعنى الأول هو الأنسب هنا.

فعن داوود الرقي، عن الصَّادق (عليه السلام): «يا داوود، ولايتنا مؤكَّدةٌ عليهم في الميثاق»[1].

(١) الأُصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ١٣٣، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسي، الحديث ٧.

وفي إحدى زيارات الإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه الشريف): «أشهد يا مولاي أنَّ مقالي ظاهره كباطنه، وسرّه كعلانيته، وأنت الشاهد على ذلك، وهو عهدي إليك وميثاقي المعهود لديك»[١].

وفي زيارة الإمام الحسين (عليه السلام): «اكتب لي عندك ميثاقًا وعهدًا، إنّي أتيتُك أجدّدُ الميثاق فاشهد لي عند ربّك، إنّك أنت الشاهد»[٢].

وهذا إشارة إلى الميثاق الذي أُخذ في عالم الذّر، كما أخبر بذلك (عزَّ وجلَّ) في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾[٣].

وهل إطلاق لفظ "ميثاق الله" على الإمام لأنَّ ذلك الميثاق مودَعٌ عنده ومحفوظٌ لديه؟ أو لأنَّ الإمام هو عين الميثاق؟

الجواب: كلا المعنيَين جائزٌ، ولكن ظاهر قوله: «السلام عليك يا

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٩٩، ص ٩٩.

(٢) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٤، ص ٥٧٨، كتاب الحج، باب القول عند قبر أبي الحسن موسى وأبي جعفر الثاني وما يجزئ من القول عند كلّهم (عليهم السلام)، ح ٣.

(٣) الأعراف: ١٧٢

ميثاق الله الذي أخذه ووكَّده» هو الثاني، أي أنَّ الإمام (عليه السلام) هو الميثاق المأخوذ، لا أنَّ ميثاقًا قد أُخِذَ وأُودِع عندَه.

فإنَّ الإنسان لو رجع إلى فطرته لوجد نفسَه تبحث عن كمالها، ولوجدها تلتمس لبلوغ ذلك الكمال القدوات والهداة والأدلَّاء، ومَن يختصر لها طريق البلوغ والوصول، ولعلَّ هذه الفطرة هي الميثاق أو جزءٌ منه، والذي يحتجُّ به الله على عباده غدًا ويُلزِمُهم به، فكما أنَّ الإنسان مفطورٌ على التوحيد، هو مفطورٌ على الإقرار بالنُّبوَّة ومفطورٌ على الولاية والتي تتمثَّل في التَّسليم والانقياد إلى الإمام (عليه السلام).

فعن "عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله: **{ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً }** [1] قال: **«الصِّبْغة معرفةُ أميرالمؤمنين (عليه السلام) بالولاية في الميثاق»**[2].

فالإمام الحجَّة (عليه السلام) هو تجسيدٌ لتلك الفطرة، أو قل: هو تجسيدٌ لذلك الميثاق المأخوذ على العباد، فما تبحث عنه النَّفس الإنسانيَّة في مسيرها نحو كمالها -كما هو مغروزٌ في باطنها- فالإمام (عليه السلام) هو المصداق الخارجيّ له، فكمال النَّفس الإنسانيَّة هو الإمام، وهو

(١) البقرة: ١٣٨

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٦، ص ١٦٤.

القدوة والهادي إلى كمال النُّفوس.

ولو تعمَّقا قليلاً أيضًا لوجدنا أنَّ كلَّ الأُمم تبحث عن من يخلِّصها من الشَّقاء الذي تعيشه، حتى عادت فكرة المخلِّص والمنقذ فكرةً أُمميَّةً، فكلُّ الأُمم والدِّيانات تنشد وتبشّر بظهور المنقذ في آخر الزَّمان، فمهدويَّة الإمام (عليه السلام) عقيدة أُمميَّة وليست مقتصرة على المسلمين أو الشيعة فقط، ولعلَّ في بعض مقاطع الزيارات الشَّريفة ما يشير إلى هذه الحقيقة، **«السلام على مهدي الأمم»**[1]، **«السلام على مهدي الأرض»**[2] فالإمام هو أمل المستضعفين وهادي الأُمم ومهديّها، وباني مجد الإنسانيَّة.

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٩٩، ص ١٠١.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٩٩، ص ٨٥.



السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَعْدَ اللهِ الَّذِي ضَمِنَهُ

ظهور الإمام الحجة القائم (عليه السلام) وإقامتُه لدولة الحق هو وعدٌ إلهيٌّ، قد سبق من الله، وقد بشَّر به أنبياء الله، وذكره القرآن الكريم في الآية ٥٥ من سورة النور: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا }(١).

وعن إسحاق بن عبدالله بن علي بن الحسين في هذه الآية: { فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ }(٢) قال: قيام القائم من آل محمَّد. قال: وفيه نزلت: { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ

(١) النور: ٥٥

(٢) الذاريات: ٢٣

قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } قال: نزلت في المهدي (عليه السلام) [1].

وكان يكفي أن يقول: «السلام عليك يا وعد الله»، إلاّ أنَّه وصفه بقوله: "الذي ضمنه"، تأكيدًا على تحقُّق هذا الوعد الذي لا خلف له { إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [2]، ولعلَّ هذا التَّأكيد للمؤكَّد لدفع الارتياب والشَّك الطَّارئ بسبب طول المُدَّة وتفاقم المحنة وتضايق حلق البلاء والشِّدَّة.

فظهوره (عليه السلام) من الأمر المحتوم الذي لا بداء فيه، والرِّوايات في هذا المعنى متظافرة بل متواترة.

---

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥١، ص ٥٣-٥٤.

(٢) آل عمران: ٩



السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَلَمُ الْمَنْصُوبُ

العَلَم: كل ما نُصِب على الطريق ليهتدي به المارَّة من أبنية ومن حجارة ومن إشارات ونحوها، وقد يُطلق العَلَم على الجبل كما في قوله تعالى: { وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ }[1].

وتقول الخنساء راثيةً أخاها صخرًا:

وإنَّ صخرًا لتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنَّه عَلَمٌ في رأسه نارُ[2]

ومن صفات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أنَّهم أعلام الله في بلاده وأنَّهم أعلام الهدى وأعلام التُّقى.

قال الباقر (عليه السلام): «نحن العلم المرفوع للخلق؛ مَن تمسَّك بنا لحق ومَن تخلَّف عنَّا غرق»[3].

---

(١) الرحمن: ٢٤

(٢) أي: جبلٌ في قمَّته نار، كنايةً عن ظهوره واشتهاره.

(٣) بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصفَّار، ص ٨٣.

وعن ابن عبَّاس أنَّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) قال لعليٍّ عليه السلام - فيما قال -: **«وأنت منار الهدى وأنت العلم المرفوع لأهل الدنيا مَن تبعك نجا ومن تخلَّف عنك هلك»**(١).

والعلم هو ما يتشخَّص به الطَّريق ويتَّضح وضوحًا تفصيلاً، بحيث لولا ذلك العلم لضاعت ملامح ذلك الطريق وتلاشت، والدلالة على الطريق إلى الله يحتاج إلى العلم بقاءً واستمرارًا كما يحتاج إليه حدوثًا. قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: **«فأين تذهبون وأنَّى تأفكون والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة»**(٢).

فوَصَفَ الأعلام بأنَّها قائمة ماثلة دائمًا.

والقرآن هو صراط الله والطريق الموصل إلى الله، والسَّير على هذا الطريق بحاجة إلى أعلام هداية ترشد السائرين وتوجّههم، وإلاَّ ضلُّوا وانحرفوا عن الجَّادَّة، فالأئمة أعلام الهدى، والهدى القرآن، فلا غنى للقرآن عنهم (عليهم السلام)؛ إذ هم الذين يشخِّصون طريق هدايته، فملامح القرآن لا تتَّضح بدون تلك الأعلام الطاهرة.

---

(١) الأمالي، للشيخ الصَّدوق، ص ٣٨٣.

(٢) نهج البلاغة، للشَّريف الرَّضي، ص ١٤٤-١٤٥.



السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعِلْمُ الْمَصْبُوبُ وَالْغَوْثُ وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ، وَعْداً غَيْرَ مَكْذُوبٍ

معنى هذه الجملة الشَّريفة أنَّ الإمام (عليه السلام) صاحب علم ربَّاني وافر متنوِّع غزير مسكوب للناس، مهيَّأ لاستفادتهم، والتَّعبير عنه (عليه السلام) بأنَّه "عِلْم" إشارة إلى كثرة عِلمه، والتَّعبير بالكثرة والوفرة لقصور التعبير عن وصف علمه، بل هو عَيبة علم الله لا أنَّه ذو عِلم كثير كما تقول فلان عَدْلٌ -على سبيل المبالغة- لأنَّ تصرُّفاتَه كلَّها وفق العدل، فلا زيغ فيها ولا جور، فهو (عليه السلام) علم كلُّه، فما يصدُر عنه علمٌ صافٍ سواء في ذلك فعلُه وقوله وتقريرُه، فلا جهل فيه ولا سفاهة.

ثمَّ إنَّ التعبير بالمصبوب فيه إشارة إلى كونه عِلمًا ربَّانيًّا مودَعًا من الله (عزَّ وجلَّ)، فالإمام خزانة علم الله -كما تقدَّم-، كما أنَّ ذلك التعبير إشارة إلى أنَّ هذا العلم سيكون في متناول المؤمنين ينهلون منه، كلٌّ بقدر قابليَّاته واستعداداته، فهو متاحٌ غيرُ مكتوم.

بخلاف علم من سبقه من الأنبياء والأوصياء حيث لم يظهروا كلَّ علومهم للنَّاس لعدم وجود القابليَّات، وعدم توفُّر ظروف الكشف عن كلِّ مكنوناتهم.

يقول أميرُ المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ هاهنا لعلمًا جمًّا لو أصبتُ له حملة»[1]، ويقول الإمام الصَّادق (عليه السلام): «العلم سبعة وعشرون حرفًا، فجميع ما جاءت به الرُّسل حرفان، فلم يُعرف حتى اليوم غير حرفَين، فإذا قام قائمنا (عليه السلام) أخرج الخمسة والعشرين حرفًا فثبَّتها في النَّاس، وضمَّ إليها الحرفَين حتى يبثَّها سبعةً وعشرين حرفًا»[2].

والغوث والرحمة الواسعة

معنى الغوث لغةً -كما قيل-: هو نصرة المضطر عند الشِّدَّة، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[3]، وقوله (عزَّ وجلَّ): ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[4].

(١) الخصال، للشيخ الصَّدوق، ص ١٨٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان الحلِّي، ص ١١٧.

(٣) الأنفال: ٩

(٤) القصص: ١٥

ومن ألقابه (عليه السلام) الغـوث؛ بمعـنى أنَّ الله يغيـث بـه العبـاد ويرفـع بـه عنـهم الظلـم والجـور، وقـد وردت الاسـتغاثة بـه في الأدعيـة والزيـارات، ومـن ذلـك: «يا مولاي يا صاحب الزمان، الغوث الغوث الغوث، أدركني أدركني أدركني»[1].

وفي حديث عقد الدرر للسلمي عـن علـيٍّ (عليـه الـسلام) قـال: «فيأمر اللهُ (عزَّ وجلَّ) جبرئيل (عليه السلام) فيصيح على سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث يا أُمَّة محمَّد، قد جاءكم الغوث يا أُمَّة محمَّد، قد جاءكم الفرج، وهو المهديُّ خارج من مكة فأجيبوه»[2].

أمَّا تسميتُه بالرَّحمة الواسـعة فـلأنَّ وجـودَه (عليـه الـسلام) سـببٌ لإفاضته النِّعَم والبركات الإلهيَّة على العباد "بيمنه رزق العباد".

ولأنَّه (عليه السلام) لطفٌ يقـرّب النَّـاس إلى الطَّاعـات ويبعّـدهم عن المعاصي، ولأنَّ المتمسّك به والثَّابت على أمره ينجو من عذاب الله، ولأنَّه الحجَّة التي لولاها لساخت الأرض بمن عليها.

وسوف تتجلَّى تلك الرَّحمة في زمن ظهوره للعالَم أجمع.

فعن الباقر (عليه السلام): «مَن أدرك قائم أهل البيت مِن ذي

(١) المزار، لمحمد بن المشهديّ، ص ٥٩١.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهديّ (عليه السلام)، للشيخ علي الكوراني العاملي، ج٣، ص٩٤.

عاهةٍ برئ، وذي ضعفٍ قوي، حتى يعيش المرء ألف عام».

وعن عليٍّ (عليه السلام): «لو قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها ولذهبت الشحناء من قلوب العباد واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة من العراق إلى الشام لا تضع قدمها إلاَّ على النبات وعلى رأسها مكتلها لا يهيجها سبع، ولا تخافه»[١].

وعن الباقر (عليه السلام): «إذا قام قائمنا تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر اللهُ دينَه ولو كره المشرِكون، فلا يبقى خرابٌ إلاّ عُمِر»[٢].

ويقول الصَّادق (عليه السلام): «إنَّ قائمنا إذا قام مدَّ اللهُ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه في مكانه»[٣].

وما إلى ذلك من الروايات التي تصف رغد العيش في دولته، وأمن الناس في حكومته، واستقامة العباد في هدايته، وطمأنينتهم في عدالته، فهو الرحمة الواسعة التي وسعت البلاد والعباد، والإنسان والحيوان،

---

(١) الخصال، للشَّيخ الصَّدوق، ص ٦٢٦.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصَّدوق، ج١، ص ٣٣١.

(٣) الروضة من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٨، ص ٢٤١، الحديث ٣٢٩.

والحجر والمدر، والوبر والشعر، وكلّ ما خلق الله.

وقد تسأل: كيف يصحُّ وصفه (عليه السلام) بالرحمة الواسعة التي تسع كلَّ شيء مع أنَّه هو النِّقمة الإلهيَّة التي ستحلُّ بالظَّالمين والجبَّارين وقد وصفته بعض الرِّوايات بذلك؟

قال الصَّادق (عليه السلام): «إذا تمنَّى أحدُكم القائم فلْيتمنَّه في عافيةٍ؛ فإنَّ الله بعث محمَّدًا (صلَّى الله عليه وآله) رحمةً، ويبعثه نقمةً»[1].

وفي خبر آخر عنه (عليه السلام): «ثم يظهر القائم ويصير سببًا لنقمة الله وسخطه على العباد؛ لأنَّ الله لا ينتقم من العباد إلاَّ بعد إنكارهم حجَّة»[2].

والجواب: إنَّ هذه النقمة جزئيَّة تحلُّ على الفراعنة والجبابرة وبعض الكافرين، وقد كان النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وآله) -والذي قال اللهُ فيه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[3]- نقمةً على الكافرين والمعاندين، وهذا من مقتضيات إيصال الرحمة إلى العباد وإزالة كلِّ ما يمنع وصولها، فرفع معوّقات وصولها رحمة، واجتثاث أُصول الظالمين رحمة، ليتسنَّى بذلك وصول الرَّحمة الإلهيَّة إلى جميع العباد وربوع البلاد.

---

(١) الروضة من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٨، ص ٢٣٣، الحديث ٣٠٦.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥٧، ص ٢١٣.

(٣) الأنبياء: ١٠٧

وعدًا غير مكذوب

قد ورد هذا التعبير في إنذار نبيّ الله صالح لقومه، قال تعالى: { فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ }[١]. ولكنَّه وعدٌ بالعذاب خاصَّة، أمَّا هاهنا فوعد بالغوث والرحمة الواسعة.

قال السيد الحميري على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)[٢]:

نادى عليٌّ فوافى فوقَ منبره ... فأسمعَ الناسَ أَنِّي سيدُ الشيبِ

وإنَّ فِيَّ وخيرُ القولِ أصدقُه ... لَسُنَّةٌ من نبيِّ الله أيوبِ

واللهُ لي جامعٌ شملي كما جمعتْ ... كفّاه بعد شتات الشَّمل يعقوبِ

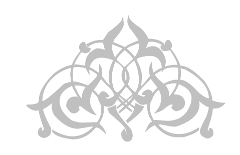
واللهُ لي واهبٌ من فضل رحمتِه ... ما ليس إلا لذي وَحْيٍ بموهوبِ

واللهُ مُبتعِثٌ من عترتي رجلاً ... يُفني أُميَّةَ وعدًا غيرَ مكذوبِ

هذا حديثٌ عجيبٌ عن أبي حسنٍ ... يُروى وقد كان يأتي بالأعاجيبِ

(١) هود: ٦٥

(٢) راجع: أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي، ج٣، ص ٤١٩.



السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقُومُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْعُدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَقْرَأُ وَتُبَيِّنُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصَلِّي وَتَقْنُتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَرْكَعُ وَتَسْجُدُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تَحْمَدُ وَتَسْتَغْفِرُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ حِينَ تُصْبِحُ وَتُمْسِي، السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى

يرى بعضُ الشُّرَّاح أنَّ هذه الفقرة على طولها تتحدَّث عن الإمام (عليه السلام) حال غيبته، وتتناول الحركة العباديَّة له بالتَّفصيل، وهي حركة مستوعبة لأطراف النهار وآناء الليل، وتنقسم إلى:

١. حركة العبادة الخاصَّة، كالصلاة والقنوت والذِّكر.

٢. وحركة نحو العلم ونشره كما توضحه جملة **«حين تقرأ وتبيّن»**.

وبملاحظة جميع ما ذكرته هذه الفقرة من أوصاف ينتهي المتأمِّل إلى القطع بأنَّ الإمام (عليه السلام) في حركة دائمة ودؤوبة ونشاط

منقطع النظير وجدٍّ واجتهاد في زمان غيبته، وأنَّه (عليه السلام) ليس قعيد داره ينتظر الإذن بالخروج، وأنَّه لا عمل له خلال غيبته.

وهذه الاستفادة -من هذا النَّصِّ- جيِّدةٌ، ولكن لا موجب لقصر دلالة المقطع عليها، بل يمكن أن يقال إنَّ فقرات هذا المقطع على نحوَين:

الأول: ما يتناول أحوال الإمام (عليه السلام) في زمانَي غيبته وظهوره.

الثاني: ما يختصُّ بزمان الظُّهور فقط.

فقوله: **«السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد»** لا يبعد أن يراد به ما تكرّر استعمال لفظ القيام فيه على لسان الأئمة (عليهم السلام) عند الحديث عن الإمام المهدي (عليه السلام) - وهو النهوض والخروج -، فقد استفاض قولهم: **«إذا قام قائمنا»**، وقولهم: **«لو قام قائمنا»**؛ أي خرج ونهض، فالقيام في الفقرة المذكورة قد يراد منه خصوص نهوضه (عليه السلام) في وجه الظلم والطغيان، والجور والاستبداد، الذي يعمّ العالم قبل ظهوره الشَّريف، وأمَّا القعود فقد يراد به مرحلة ما بعد استئصال العتاة والمردة واجتثاث أُصول الظالمين، وقطع دابر الملحدين، وإزالة الأمت والعوج.

فلا قوَّة لظهور هذين اللَّفظَين في خصوص القيام والقعود الذَين هما وضعان من أوضاع الجسد كالاتِّكاء والانحناء والاضطجاع والاستلقاء، خاصَّة وأنَّهما لم يقترنا بأمثالهما من أوضاع الإنسان الطبيعيَّة كاليقظة والنوم، فلم يقل: "السلام عليك حين تنام وتستيقظ"، فذِكْرُ القيام والقعود ضمن أوضاع عباديَّة يدعو إلى تفسيرهما بما يتناسب وتلك الأوضاع.

كما أنَّ جملة «السلام عليك حين تقرأ وتبيّن» ناظرةٌ إلى تلك المرحلة، أعني مرحلة البناء الحضاري والعلمي في دولته العالميَّة، والتي يقرأ فيها على أهل التوراة توراتهم، وعلى أهل الإنجيل إنجيلهم، وعلى أهل القرآن قرآنهم ويبيّن لكلٍّ ما يحتاجه.

نعم، الجمل التي تذكر الصلاة والقنوت والركوع والسجود والتكبير والتحميد والتهليل والاستغفار يمكن أن يكون نظرها شاملاً لمرحلتيّ الغَيبة والظهور.

وقد تسأل: أليس في قوله: «السلام عليك في الليل إذا يغشى والنَّهار إذا تجلَّى» بعد قوله: «السلام عليك حين تصبح وتمسي» تكرار للإصباح والإمساء؟

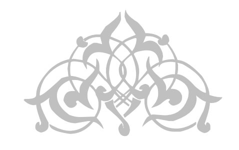
الجـواب: إنَّ الجملـة الأُولى «السلام عليك حين تصبح وتمسي» ناظرةٌ إلى الإمام (عليه السلام) إذا دخل عليه الصباح والمساء، وأمَّا الجملة الثانية «في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى» ناظرةٌ إلى حال الزائر، أو مطلق غشيان الليل وتجلّي النَّهار، فلا تكرار.

هذا إلى أنَّه قد يراد من الليل إذا يغشى زمان غيبته، وبالنهار إذا تجلَّى زمان ظهوره، وهذا الاحتمال يؤيّده ما ورد في تأويل الآية الكريمة من سورة الليل حيث سأل محمد بن مسلم الإمام أبا جعفرٍ الباقرَ (عليه السلام) قال: "سألتُ أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله (عزَّو جلَّ): ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾[1] «الليل في هذا الموضع الثاني يعني أمير المؤمنين (عليه السلام) في دولته التي جرت له عليه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يصبر في دولتهم حتى تنقضي»، قال: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾[2] «فالنهار هو القائم منَّا أهل البيت؛ إذا قام غلبت دولته دولة الباطل، والقرآن ضرب فيه الأمثال للنَّاس وخاطب نبيّه به ونحن، فليس يعلمه غيرنا»[3].

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥١، ص ٤٩-٥٠.

(٢) الليل: ١

(٣) الليل: ٢



السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ الْمَأْمُونُ

السلام عليك أيها العالم الرباني والإمام المأمون على علوم الله وأسراره وشرائعه التي أعطاك، والمأمون على عباد الله التي استرعاك، فالإمام مأمون من أن يضيّع حقًّا أو يقصّر في واجب، أو أن يدخل في باطل أو يخرج من حق. فالتعبير بالإمام المأمون إشارة إلى شرط العصمة في الإمام، وأنَّ الله (عزَّ وجلَّ) لا يسلم أمر العباد رعايةً وهدايةً وإمامةً إلى غير المعصوم.



السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُقَدَّمُ الْمَأْمُولُ

الإمام (عليه السلام) هو المُقدَّم من ربِّه لقيادة الأُمَّة وإمامتها، وهو أمل العالم في أن يقيم العدل وينهي الظلم، بل الإمام لو قد ظهر لما عدل أهل العالم عنه إلى غيره، ولَقدَّموه على مَن سواه، فهو المُقدَّم من الله، ومن عباده المستضعفين، وهو أملهم وأمل نجاهم **«أين المُؤمَّل لإحياء الفرائض والسنن»**، وربَّما توحي صفة المُقدَّم بتقدُّمه على المسيح لقيادة العالَم، وتبعيَّة المسيح (عليه السلام) له.



السَّلَامُ عَلَيْكَ بِجَوَامِعِ السَّلَامُ

جوامع السَّلام هو السَّلام المشتمل على الخصال الأربع الآتية:

الأولى: المحبَّة الخالصة للإمام (عليه السلام).

الثانية: المعرفة الحقَّة بمقامه وحقوقه.

الثالثة: الطَّاعة التامَّة له في أوامره ونواهيه.

الرابعة: التسليم المطلق له في غيبته وظهوره؛ ومعنى التسليم: الإذعان له والامتثال لأوامره دون تردُّد أو شكٍّ أو اعتراض أو استفسار.

وإنَّما كانت هذه الصِّفات الأربع جامعة للسَّلام إذ لا سلام مع فقدان واحدةٍ منها، فلا سلام مع العداوة والبغضاء، ولا مع التمرُّد والعصيان، ولا مع الجهل بالحقوق والمقامات.



أُشْهِدُكَ يَا مَوْلاَيَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ لاَ حَبِيبَ إِلاَّ هُوَ وَأَهْلُهُ، وَأُشْهِدُكَ يَا مَوْلاَيَ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُجَّتُهُ وَالْحَسَنَ حُجَّتُهُ وَالْحُسَيْنَ حُجَّتُهُ وَعَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حُجَّتُهُ وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَجَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَمُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُوسَى حُجَّتُهُ، وَمُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ حُجَّتُهُ، وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ حُجَّتُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ، أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً

لا تكتمل النَّفس الإنسانيَّة إلاَّ بإحراز أُمور أربعة: العلم، والإقرار، والعمل، والإخلاص. قال الله (عزَّ وجلَّ): { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ

دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[1].

فالآية تصريحٌ بمطلوبيَّة الأمرَين الثالث والرَّابع؛ وهما العمل والإخلاص.

﴿ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾، من الواضح أنَّه لا عبادة دون العلم بالمعبود والإقرار بمعبوديَّته، وهذان هما الأمران الأول والثاني.

وما تقدَّم من أول الزيارة إلى قوله: «السلام عليك بجوامع السَّلام» يمثِّل الأمر الأول، وهو معرفة الإمام وصفاته اللاَّئقة به.

وما نشرع فيه هو عرضٌ للأمر الثاني؛ أي الإقرار بعد العلم، إذ لا يكفي العلم بالمعبود أو الرَّسول أو الإمام أو أيّ أمرٍ عقديٍّ آخر دون الإقرار الصَّادق به؛ لعدم استلزام العلم به الإقرار به، فكم من عالمٍ بأمرٍ منكرٍ له، قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[2].

فقوله: "أشهدك يا مولاي أنِّي أشهد..." إقرارٌ بأنَّ ما يعلمه هو عقيدةٌ راسخةٌ متجذِّرة في نفسه، يقرّ بذلك على نفسه ويُشهد الإمام (عليه السلام) على ذلك، وقد كان بعضُ المؤمنين الذين عاصروا الأئمَّة

---

(١) البيّنة: ٥

(٢) النمل: ١٤

الأطهار (صلوات الله عليهم) يعرضون دينهم ومعتقداتهم على إمام زمانهم ليصحّح لهم ما يعتقدون، أو يقرّهم على ما هم عليه فتطمئنَّ بذلك قلوبهم وتسكن له نفوسهم.

ومن أمثلة ذلك ما رواه إسماعيل بن جابر قال: "قلت لأبي جعفر (عليه السلام): أعرض عليك ديني الذي أدين الله (عزَّ وجلَّ) به؟ قال: فقال: «هاتِ». فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وأنَّ عليًّا كان إمامًا فرض اللهُ طاعتَه ثمَّ كان بعده الحسن إمامًا فرض اللهُ طاعتَه ثمَّ كان بعده الحسينُ إمامًا فرضَ اللهُ طاعته ثمَّ كان بعده عليُّ بن الحسينِ إمامًا فرضَ اللهُ طاعتَه ثمَّ انتهى الأمرُ إليه، ثمَّ قلتُ: أنت يرحمُك الله، قال: فقال: «هذا دينُ الله ودينُ ملائكته»[(١)].

ومثله ما في توحيد الصَّدوق "عن عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيدي علي بن محمد عليهما السلام فلما بصر بي قال لي: «مرحبًا بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً»، فقلت له: يا ابن رسول الله إني اريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضيا ثبت عليه حتى ألقى الله عزّ

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص١٨٨، كتاب الحجة، باب فرض طاعة الأئمة (عليهم السلام)، الحديث ١٣.

وجلّ، فقال: «هات يا أبا القاسم»، فقلت: إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدين: حد الإبطال وحد التشبيه، وأنّه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسم الاجسام ومصور الصور وخالق الاعراض والجواهر، ورب كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه. وأنّ محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين لا نبي بعده إلى يوم القيامة وإن شريعته خاتمه الشرائع ولا شريعة بعده إلى يوم القيامة. وأقول إنّ الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي فقال عليه السلام: **ومن بعدي الحسن ابني. فكيف للناس بالخلف من بعده؟** قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال: **«لأنّه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»**. قال: فقلت: أقررت وأقول: إنّ وليهم ولي الله وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعراج حق والمسألة في القبر حق، وأنّ الجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور. وأقول: إنّ الفرائض الواجبة

بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال علي بن محمد عليهما السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"[١].

ومثله في تفسير العيَّاشي عن ابن أبي يعفور حيث عرض على أبي عبد الله الصَّادق (عليه السلام) ما يدين به، وكذا ما في مجالس المفيد من عرض الحسن بن زياد العطَّار على الصَّادق (عليه السلام)، ونحن أيضًا عند زيارتنا لإمام زماننا صاحب الأمر بهذه الزِّيارة الشَّريفة في الوقت الذي نقرُّ له بهذه المعتقدات الحقَّة، نحن نعرض عليه ديننا ومعتقدنا ونريده أن يدعو لنا بالثَّبات عليها والتمسُّك بها حتَّى نلقى الله.

وقد تسأل: أليس الإمام (عليه السلام) عالِمًا بأعمال العباد ظاهرها وباطنها، وما ينطوون عليه من عقائد حقَّة أو باطلة، فما الغاية من هذا الإشهاد إذن؟

الجواب: إنَّ الإيمان اعتقادٌ بالقلب وإقرارٌ باللِّسان وعملٌ بالأركان، فهذا إقرار من المؤمن بحقيقة إيمانه في صورة إشهاد، هذا أوَّلاً، وثانيًا: هو ترسيخٌ للعلاقة بين المؤمن وإمامه؛ فإنَّ هذا الإشهاد منه إلزام

(١) التوحيد، للشَّيخ الصَّدوق، ص ٨١.

لنفسه بمقتضيات وموجبات ما يعتقد، فإنَّ إقراره على نفسه بذلك بمحضر الإمام (عليه السَّلام) يلزمه العمل بما يقتضيه إيمانه من التوحيد لله وعدم الشِّرك به وعبادته حقَّ العبادة، والاستنان بسنَّة الرَّسول (صلَّى الله عليه وآله)، واتِّباع هدي الأئمة الهادين المهديين الذين أقرَّ لهم بالإمامة، والعمل للدار الآخرة التي أقرَّ بحصولها والانتهاء إليها.

وقد اشتملت هذه الفقرة من الزِّيارة على إقرارات مهمَّة بمعتقدات رئيسيَّة تمثِّل قواعد الصَّرح العقائديّ للمؤمن، وتلك الإقرارات هي:

الأول: الإقرار بالولاية بصاحب الأمر والزَّمان، إذ إنَّ الولاية هي التَّرجمة العمليَّة للاعتقاد بالتَّوحيد، بمعنى أنَّ مَن يوحِّد الله (عزَّ وجلَّ) ولا يجعل له شريكًا في مِلْكٍ ولا خَلْقٍ ولا تدبير ولا عبادةٍ ولا طاعة، إنَّ هذا الاعتقاد إنَّما يتجلَّى على صعيد الحياة العمليَّة اليوميَّة للعبد المؤمن عن طريق التَّسليم بولاية مَن نصَّبه الله إمامًا وحُجَّة على عباده، فقول الزَّائر: "أُشهِدُكَ يا مولايَ" أولُّ الإقرارات وأهمُّها؛ لأنَّها باب التَّوحيد، بل عين التَّوحيد وحقيقة التَّوحيد، قال الله (عزَّ وجلَّ): **﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾**[1]، فجعل مختار الناس في قبال مختار الله يعدُّ

(١) القصص: ٦٨

شركًا، ولذا ختم الآية بتنزيه الله عن الشريك فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، فتوقَّف إيمانهم على الولاية التي عبَّر عنها بقوله: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الثاني: الإقرار بالوحدانيَّة لله ونفي الشريك.

الثالث: الإقرار بالعبوديَّة والرِّسالة للنَّبي محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وآله.

إنَّ الشَّهادة لمحمد بن عبد الله النَّبي الأمِّيّ المكّي المدنيّ تشتمل على وصفَين رئيسَين غالبًا؛ هما العبودية والرِّسالة، فوصفه بالعبودية ينفي عنه الرُّبوبيَّة ويضعه عن مقامها، ووصفه بالرَّسوليَّة يرفعه بعد مقام العبوديَّة إلى مقامات أعلى منها.

إنَّ اقتران الرِّسالة بوصف العبوديَّة في الشَّهادة وفي كثير من المواضع التي تتعرَّض إلى وصفه (صلَّى الله عليه وآله) لتوكيد عقيدة التوحيد الإلهي عند المسلمين ونفي احتمال أنَّ لله شريكًا، فما محمَّدٌ إلاَّ

(١) النساء: ٦٥

عبدٌ أنعم الله عليه بأن اصطفاه وانتجبه وابتعثه نبيًّا رسولاً لا يملك من الأمر إلاَّ ما ملَّكه الله (عزَّ وجلَّ)، فلا تقولوا فيه ما قالت النَّصارى في المسيح، ولا ما قالت اليهود في عزير (عليهما السَّلام).

إنَّ مقامات الرَّسول (صلَّى الله عليه وآله) التي منحها اللهُ له فوق التصوُّر البشريّ، وكفى بقوله تعالى: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى }[1] كاشفًا عن مقام القرب المحمَّديّ من العليِّ الأعلى (عزَّ شأنُه)، فلذا كان التَّأكيد على عبوديَّة الرَّسول (صلَّى اللهُ عليه وآله) في كثيرٍ من المواطن القرآنيَّة والرِّوائيَّة.

فمن ذلك قوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى }[2]، وقوله: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا }[3]، وقوله: { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }[4]، وقوله: { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

---

(١) النجم: ٨-٩

(٢) الإسراء: ١

(٣) الكهف: ١

(٤) الفرقان: ١

النُّورِ }[١]، وقوله: { فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }[٢]، وقوله: { لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا }[٣].

الرَّابع: الإقرار بخلوص المحبَّة لمحمَّدٍ وآله (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، **"لا حبيب إلاَّ هو وأهله"**، ومعنى هذه العبارة أنَّه لا يقاس بحبِّي لرسول الله وآله (عليهم السلام) حبِّي لأحد من البشر، فإنَّ لحبّهم محورية حولها يدور حبّي للأشياء من حولي، فلا حبيب في قلبي كمحمَّدٍ وآله (صلوات الله عليهم).

قال اللهُ (عزَّ وجلَّ): { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }[٤].

إذن فليس في قلب المؤمن إلاَّ حبُّ الله ورسوله وآله الطَّاهرين، وليس في عرض هؤلاء وحبِّهم حبٌّ آخرُ، وبالخصوص أعداء آل محمَّد

(١) الحديد: ٩

(٢) النجم: ١٠

(٣) الجن: ١٩

(٤) التوبة: ٢٤

(صلَّى اللهُ عليه وآله) ومبغضيهم، حيث لا يجتمع في قلب المؤمن ذانك الحُبَّان؛ حبُّ محمَّدٍ وآله وحبُّ أعدائهم أبدًا، قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ (١) يحبُّ بهذا ويبغض بذاك، وإنَّما هو قلبٌ واحد، فإمَّا أن يبغض به وإمَّا أن يحبَّ به.

الخامس: الإقرار بالأئمَّة الاثنَي عشر حججًا على الخلق، من عليٍّ أميرِ المؤمنين (عليه السَّلام) إلى القائم المنتظر (عجَّل الله فرجه)، وتعدادهم بالاسم أمرٌ في غاية الأهمِّيَّة لكونه في قبال أولئك المنحرفين عن خطِّ الإمامة والولاية، فالعامَّة أنكروا إمامة جميع الأئمَّة (عليهم السلام)، والكيسانيَّة والزَّيديَّة والنَّاووسيَّة والإسماعيليَّة والفطحيَّة والواقفيَّة آمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض.

أَنْتُمُ الأَوَّلُ وَالآخِرُ

ما معنى هذه الجملة؟ إذ من المعلوم أنَّ هذا الوصف واردٌ في الذَّات الإلهيَّة كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (٢)، فكيف صحَّ أن يوصف به عبد من عباد الله؟

---

(١) الأحزاب: ٤

(٢) الحديد: ٣

الجواب: إنَّ هذا الوصف وهـذا الاسـم مـن الأوصـاف والأسماء المشتركة التي يجوز إطلاقها على غير الله. فالله هو الأول الذي ليس قبله شـيء، والآخِـر الـذي لـيس بعـده شـيء، ففـي المـأثور عنـهم (علـيهم السَّلام): «الحمدلله الأول بلا أول كان قبله، والآخِر بلا آخر كان بعده»[١]، فإطلاق الأول والآخِر بهذا المعنى خاصٌّ بالله (عزَّ وجلَّ)، أمَّا إذا أُريد بالأوَّليَّة والآخِريَّة معنًى آخر يناسب مخلوقيَّة المخلوق وعبوديَّة العبد فلا بأس بإطلاقها عليه.

وعلى هـذا جرى إطلاق لفظ الأول والآخِر على أهل البيت (عليهم السلام)، فقد يراد بتسميتهم بالأول والآخر: أوَّل ما خلق الله، كما في روايات عالم الأنوار، كقولهم (عليهم السلام): «أول ما خلق الله نور نبيّكم».

كما أَنَّهم آخر الخلق؛ لأَنَّهم وجه الله، وقد نطقت الروايات بتفسير وجه الله بهم (عليهم السلام)، وفي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[٢] أَنَّهم هم وجه الله، وأَنَّهم باقون بعد فناء الخلق ما شاء الله.

وقد يراد بأوَّلِيَّتهم وآخِريَّتِهم أَنَّهـم هـم البـدء والختـام بالنِّسبة إلى

(١) الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين، ص ٢٢، الدعاء الأول.

(٢) القصص: ٨٨

مشروع الدَّعوة الإسلاميَّة والدِّين الإسلاميّ، فمبدأ الإسلام برسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، وختامه بالقائم (عليه السلام).

ففي كمال الدِّين: "قال عليٌّ لرسول الله (صلَّى الله عليه وآله): «يا رسول الله، أمِنَّا الهداةُ أم من غيرنا؟ قال: بل مِنَّا الهداةُ إلى الله إلى يوم القيامة، فبنا استنقذهم اللهُ (عزَّ وجلَّ) من ضلالة الشِّرك، وبنا يستنقذهم من ضلالة الفتنة، وبنا يصبحون إخوانًا بعد ضلالة الفتنة كما بنا أصبحوا إخوانًا بعد ضلالة الشِّرك، وبنا يختم الله كما بنا فتح الله»[1].

وقال الباقر (عليه السلام): «أيها الناس، أين تذهبون؟! وأين يراد بكم؟ بنا هدى اللهُ أوّلكم وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجل فإنّ لنا ملكاً مؤجّلا، وليس بعد ملكنا ملك؛ لأنَّا أهل العاقبة، يقول الله (عزَّ وجلَّ): { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }[2]"[3].

«وَأَنَّ رَجْعَتَكُمْ حَقٌّ لاَ رَيْبَ فِيهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً».

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصَّدوق، ج١، ص ٢٣١.

(٢) القصص: ٨٣

(٣) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج١، ص ٤٧١، كتاب الحجة، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)، الحديث ٥.

إنَّ الحديث عن الرَّجعة لَطويلٌ مُتَشَعِّبٌ، وما يقتضيه المقام هو مجرَّد الإشارة الخاطفة، والإجمال لا التَّفصيل.

قال العلاَّمة السيِّد عبدالله شبَّر في كتابه (حقّ اليقين): "اعلم أنّ ثبوت الرجعة مما أجمعت عليه الشيعة الحقَّة والفرقة المحقَّة، بل هي من ضروريَّات مذهبهم"(١).

وقال العلاَّمة المجلسيُّ: "وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ...، وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر، مع ما روته الشيعة كافة خلفاً عن سلف. وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين»(٢).

وقد تظافرت الأخبار عنهم (عليهم السَّلام): «ليس منَّا من لم يؤمن برجعتنا»(٣).

والرَّجعةُ ممكنةٌ عقلاً، وواقعةٌ خارجًا في الأُمم السَّابقة، وقد دلَّت

---

(١) حق اليقين، للسيد عبدالله شبر، ج٢، ص ٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥٣، ص١٢٢-١٢٣.

(٣) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج١٠٠، ص ٣٢٠.

على وقوعها آيات محكمات، منها الآيات التالية: { وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ }[1]، حيث دلَّت على أنَّ هذا الحشر يختصُّ ببعضٍ دون بعض، فتعيَّن أن يكون غير حشر القيامة الأكبر الشَّامل لجميع البشر.

فعن الصَّادق (عليه السلام) أنَّه سئل عن تفسيرها، فقال (عليه السلام): «ما يقول الناس فيها؟» قلت: يقولون: إنَّها في القيامة، فقال (عليه السلام): أيحشر الله يوم القيامة من كلِّ أُمّة فوجًا ويترك الباقي؟ إنَّما ذلك في الرَّجعة، فأمَّا القيامة فهذه الآية: { وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا }[2]»[3].

الآية الثانية: { رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ }[4]، وقد روى القمِّي عن الصَّادق (عليه السَّلام) أنَّه قال: «ذلك في الرَّجعة»[5]، يعني أحد الإحيائَين في الرَّجعة والآخَر في القيامة، وإحدى الإماتتَين في الدُّنيا والأُخرى في الرَّجعة.

---

(١) النمل: ٨٣

(٢) الكهف: ٤٧

(٣) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥٣، ص ٦١.

(٤) غافر: ١١

(٥) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٥٣، ص ٥٦.

ولقد قصَّ اللهُ تعالى لنا في كتابه العزيز قصص من أرجعهم إلى الحياة الدُّنيا بعد أن أماتهم، فمن ذلك سبعون رجلاً من قوم موسى أخذتهم الصَّاعقةُ وهم ينظرون حين طلبوا رؤية الله جهرةً، ثمَّ بعثهم اللهُ من بعد موتهم لعلَّهم يشكرون.

ومن ذلك الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم اللهُ: موتوا، ثم أحياهم.

ومن ذلك أصحاب الكهف الذين أنامهم اللهُ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، ثمَّ بعثهم ليكونوا حجَّةً وبرهاناً.

ومن ذلك ما تحكيه هذه الآية الشَّريفة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

---

(١) البقرة: ٢٥٩



وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ نَاكِراً وَنَكِيراً حَقٌّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ النَّشْرَ حَقٌّ، وَالْبَعْثَ حَقٌّ

لماذا الشهادة بحقيَّة الموت، وهل لأحدٍ أن ينكر الموت؟ وهل لمنكره القدرة على الفرار منه؟

إذن لماذا الشَّهادةُ بأنَّ الموت حقٌّ؟ وما جدوى وأثر هذه الشَّهادة؟

الجواب: لا يمكن لأحدٍ أن ينكر الموت بقلبه ووجدانه، فهذه حقيقةٌ لا يشُكُّ فيها ولا يرتاب ذو مسكة أبدًا، وكيف يشكُّ في الموت وهو يرى الموتى؟

ولكنَّ إنكار البشر للموت هو على المستوى العملي، وهو أبلغ الإنكارات، وهو الإنكار الساري في الحياة الإنسانيَّة والمهيمن عليها والدَّافع لها في المسار الخاطئ.

ولذا كان هذا الإقرار من العبد، وهذه الشَّهادة بحقيَّة الموت تذكيرًا له به، وزجرًا لنفسه عن الغفلة أو التغافل عن هذه الحقيقة، فهو يقرُّ

لإمامه صاحب الأمر والزمان بأنَّه ملتفتٌ إلى سريان هذه الحقيقة، وأنَّه قائمٌ بما يتوجَّبُ عليه من الإعداد والاستعداد لها.

وأنَّ ناكرًا ونكيرًا حق

وورد أيضًا: منكر ونكير، وهذان اسمان لملكَين يأتيان الميت بعد نزوله في حفرته، فيسألانه عن ربِّه وعن نبيِّه وعن دينه وإمامه وجميع معتقداته.

وفي بعض الأخبار: «أنَّ اسمَي الملكَين اللذَين ينزلان على الكافر ناكر ونكير، واسمَي الملَكَين الذين ينزلان على المؤمن مبشّر وبشير»[1].

وقيل: «إنّه إنّما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنّه ينكر الحق، وينكر ما يأتيانه به ويكرهه، وسمي ملكا المؤمن مبشراً وبشيراً لأنّهما يبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم»[2].

وقد تعرَّضت بعض الرِّوايات لذكر وصف ناكر ونكير، ومن ذلك ما جاء في هذه الرِّواية: «قال: ثم يدخل عليه منكر ونكير، وهما

---

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٦، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق.

ملكان أسودان يبحثان القبر بأنيابهما ويطئان في شعورهما، حدقتاهما مثل قدر النحاس، وأصواتهما، كالرعد القاصف، أبصارهما مثل البرق اللامع، فينتهرانه ويصيحان به ويقولان: من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ ومن إمامك ؟»[١].

وفي البحار: "عن النبي صلى الله عليه واله «أن لله تعالى ملكين يقال لهما: ناكر ونكير ينزلان على الميت فيسألانه عن ربه ونبيه ودينه وامامه، فإن أجاب بالحق سلموه إلى ملائكة النعيم، وإن أرتج عليه سلموه إلى ملائكة العذاب»[٢]. ولذلك يستحبُّ تلقين الميّت الاعتقادات الحقَّة حال احتضاره وفي قبره قبل دفنه، وبعد دفنه وانصراف الناس عنه، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما على أهل البيت منكم أن يدرؤوا عن ميتهم لقاء منكر ونكير؟» قلت: كيف يصنع؟ قال: إذا أفرد الميت فليتخلف عنده أولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثم ينادي بأعلى صوته يافلان بن فلان أو يافلانة بنت فلان: هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه ...»[٣].

---

(١) الاختصاص، للشَّيخ المفيد، ص ٣٤٧.

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٦، ص ٢٤٥.

(٣) الفروع من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٣، ص ٢٠١، كتاب الجنائز، باب تطيين القبر ←

وأشهد أنَّ النشر حق والبعث حق

الفرق بين البعث والنشور، هو أنَّ البعث خروج الأبدان من القبور كما حكى ذلك سبحانه قولَ الموتى عند بعثهم وخروجهم من الأجداث: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

وأمَّا النشور فهو اسمٌ لظهور المبعوثين وبروزهم في أرض المحشر، وظهور أعمالهم وبروزها، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴾[2]، وقال (عزَّ وجلّ): ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[3]، وقال: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾[4]. وقد وردت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم كاسمَين من أسماء يوم القيامة الذي تعدَّدت له الأسماء، فمن أسمائه:

القيامة، وقد ورد في القرآن ٧٠ مرَّة.

وتجصيصه، الحديث ١١.

(١) يس: ٥٢

(٢) الإسراء: ١٣

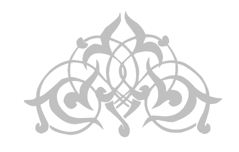
(٣) التكوير: ١٠

(٤) عبس: ٢١-٢٢

الساعة، وقد ورد في القرآن ٣٥ مرة.

اليوم الآخر، وقد ورد في القرآن ٣٥ مرة.

ويوم البعث، ويوم الخروج، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم التناد، ويوم التلاق، ويوم الحسرة، ويوم الخلود، ويوم الوعيد، ويوم الآزفة، ويوم الجمع، ويوم الفتح، والقارعة، والحاقَّة، والصَّافة، والطَّامة، والواقعة، ويوم الحشر، ويوم النشور.



وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَالْمِرْصَادَ حَقٌّ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ، وَالْحَشْرَ حَقٌّ، وَالْحِسَابَ حَقٌّ

ما معنى الصراط؟ لقد سأل المفضَّل بن عمر الإمامَ الصَّادق (عليه السلام) عن ذلك فأجابه، قال: "سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الصِّراط فقال: «هو الطريق إلى معرفة الله (عزَّ وجلَّ)، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، وأمَّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم»[١].

ويمكن أن نستخلص من هذه الرواية الشَّريفة حقائق أربع:

الأُولى: أنّ الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة.

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٤، ص ١١.

الثانية: أنّ صراط الدنيا هو الإمام (عليه السلام)، وأنّ صراط الآخرة الجسرُ الذي يعبر عليه إلى الجنة.

الثالثة: أنَّ هناك تلازمًا وترابطًا وثيقًا بين الصراط الدنيوي والصراط الأُخروي، فمن عرف الإمام (عليه السلام) والتزم به وأخذ بهديه واقتفى أثره سار على صراط الآخرة الموصل إلى الجنة، ومن لم يلتزم بالإمام ولم يسر على هداه، أي من كان مساره بعيدًا عن مسار الإمام وخطّه ومخالفًا له، لم يخطُ على جسر جهنم بل يهوي إليها وبئس المصير.

ومن كان اقتداؤه بالإمام متذبذبًا مترنّحًا كان مسارُه على ذلك الجسر مترنّحًا، ومن تثاقل في الدنيا عن اتّباع الإمام (عليه السلام) ثقلت قدماه في المسير على الصراط غدًا.

الرابعة: إنَّ صراط الآخرة انعكاسٌ لسير الإنسان وسلوكه واقتدائه بالأئمة (عليهم السلام) ومعرفته بهم وحبّه لهم، فبقدر المعرفة والحب والعمل والتسليم يكون صراط الإنسان غدًا في آخرته ضيقًا وسعةً، ونورًا وظلمةً.

قال الإمام العسكريُّ (عليه السلام): «والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الطريق المستقيم في

الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة»[١].

وأنَّ المرصاد حق

الرصد والإرصاد: الترقُّب والانتظار والإعداد، تقول: فلان يرصدني أي يترقّبني، وأرصدتُ له شيئًا أي أعددتُ له، وأرصد له العقوبة: أعدَّها له، وحقيقته: جعلتها له على طريقه كالمترقِّبة له. وفي الصَّحيفة السَّجاديَّة: «واجعلني من أهل السَّداد وأدلَّة الرَّشاد، ومن صالحي العباد، وارزقني فوز المعاد وسلامة المرصاد»[٢]، وعن الصَّادق (عليه السلام): «المرصاد قنطرةٌ على الصراط لا يجوزها عبدٌ بمظلمة»[٣]، وعن الرِّضا (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عند تفسير معاني حروف المعجم قال: «فالصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط وحبس الظالمين عند المرصاد»[٤].

---

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٤، ص ٩.

(٢) الصحيفة السجادية، للإمام زين العابدين، ص ١٠٧، دعاؤه في مكارم الأخلاق.

(٣) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٧٢، ص ٣٢٣.

(٤) الأمالي، للشَّيخ الصَّدوق، ص ٤٠٥.

يقول الشيخ الطوسي في كتاب الاعتقادات في دين الإماميَّة عند حديثه عن العقبات يوم القيامة: "واسم عقبة منها الولاية، يوقف جميع الخلائق عندها فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام، فمن أتى بها نجا وجاز، ومن لم يأت بها بقي فهوى، وذلك قول الله عزّ وجلّ: { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ }[١]، واسم عقبة منها المرصاد وهو قول الله عزّ وجلّ: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }[٢]، ويقول عزّ وجلّ: «وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم»، واسم عقبة منها الرحم، واسم عقبة منها الأمانة، واسم عقبة منها الصلاة، وباسم كلِّ فرض أو أمر أو نهي عقبة يحبس عندها العبد فيسأل"[٣].

والميزان حقٌّ

قال تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ }[٤].

---

(١) الصافات: ٢٤

(٢) الفجر: ١٤

(٣) الاعتقادات في دين الإماميَّة، للشَّيخ الصَّدوق، ص ٧٢.

(٤) الأنبياء: ٤٧

لكلِّ شيءٍ في الكون ميزان، مادِّيًا كان ذلك الشيء أو غير مادّي، أجسامًا أو أعراضًا.

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في صحيفته: «سبحانك تعلم وزن السموات، سبحانك تعلم وزن الأرضين، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر، سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة»[(١)].

ولا يذهب بنا الخيال إلى أنَّ الميزان هو المعيار في البيع والشراء وحسب، فإنَّ وزن كلّ شيء بحسبه، وميزانه وفق ما تقتضيه طبيعته، فالفكر له ميزان هو علم المنطق، والكلام له ميزان هو علم النحو، والشعر له ميزان هو علم العروض، وحرارة الجسم لها ميزان هو الثرمومتر، وكذا المساحات والهزَّات الأرضيَّة لها مقاييسها، وكذا ضغط الدم ونسبة السُّكر فيه لها ميزان ومقياس، فكلُّ شيءٍ له وزن وله ميزان، وأعمال العباد لها ميزانها الذي توزن به فإن رجّحت حسنات العبد دخل الجنَّة، وإن رجّحت كفّة سيّئاته كانت النار مثواه إلاّ أن تداركه رحمة من ربّه، قال تعالى: { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٨٣، ص ٢٢٧.

مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ } [١].

فما هو ميزان العمل يوم القيامة؟

ذهب جمهور المخالفين إلى أنَّ ميزان العمل ميزان مادّي له كفّتان يوضع في كفَّةٍ منه كتاب المعاصي، وفي الأُخرى كتاب الطَّاعات، فأيّهما رجّح كان حسابه على وُفقه.

قال الرازي في تفسير الآية { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [٢]: "المسألة الثانية: في وضع الموازين قولان: أحدهما: قال مجاهد هذا مثل والمراد بالموازين العدل ويروى مثله عن قتادة والضحاك والمعنى بالوزن القسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه يعني أنّ حسناته تذهب بسيئاته ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه أي أنّ سيئاته تذهب بحسناته ، حكاه ابن جرير هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. الثاني: وهو قول أئمة السلف أنّه سبحانه يضع الموازين الحقيقية فتوزن بها الأعمال، وعن الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه السلام.

(١) القارعة: ٦-١١

(٢) الأنبياء: ٤٧

ويروى: «أنّ داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات، فقال: يا داود إنّي إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة». ثم على هذا القول في كيفية وزن الأعمال طريقان. أحدهما: أن توزن صحائف الأعمال. والثاني: يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة"[١].

وأمَّا الميزان في منظور أهل البيت (عليهم السلام) وتفسيرهم فيختلف عن هذا المفهوم القشري والسطحي المضطرب، والذي لا يتلاءم وطبيعة الموزون وهو (أعمال العباد). فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب الاحتجاج حديث طويل جاء فيه: "قال السائل: أوليس توزن الاعمال؟ قال: «لا لأن الأعمال ليست أجساماً وإنّما هي صفة ما عملوا، وانما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفتها، وأنّ الله لا يخفى عليه شيء»، قال: فما معنى الميزان؟ قال: «العدل»، قال: فما معناه في كتابه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾[٢] قال: «فمن رجح عمله»[٣].

(١) مفتاح الغيب، للفخر الرازي، ج١١، ص ٢٥-٢٦.

(٢) المؤمنون: ١٠٢

(٣) الاحتجاج، للطبرسي، ج٢، ص ٩٨.

ولكن السؤال بقي قائمًا، وهو كيف يحكم برجحان العمل، والإمام في هذا الحديث قد أجاب السائل على قدر سؤاله؛ إذ كان السؤال عن معنى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ، والموازين هنا جمع موزون، وموازين كلِّ امرئٍ أعمالُه، إذ هي التي توزن يوم القيامة ويحاسب العبد عليها، فقوله (عليه السلام): «رجّح عمله» جواب على مقتضى السؤال وبقدره.

أمَّا كيف يتبيَّن لنا رجحان العمل فهذا ما توضحه روايات أُخرى، فعن ابن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [1] قال: «الرسل والأئمة من آل بيت محمَّدٍ (عليهم السلام)». وعلى هذا يكون لفظ الموازين في هذه الآية جمعًا للميزان لا للموزون، وتسأل: كيف يكون الأئمة (عليهم السلام) هم الموازين، أو: ما معنى أن يكون الإمام (عليه السلام) هو ميزان العمل؟

الجواب: الظاهر أنَّ لعلمائنا رأيين في ذلك:

الأول: ما يذهب إليه المفيد (رحمه الله) حيث قال: "والخبر الوارد أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من ذرّيّته (عليهم السلام) هم

(١) الأنبياء: ٤٧

الموازين فالمراد أنَّهم المعدِّلون بين الأعمال فيما يستحقُّ عليها والحاكمون فيها بالواجب والعدل"[١].

الثاني: ما يذهب إليه الفيض الكاشاني (رحمه الله): "إنَّ ميزان كلّ شيء هو المعيار الذي به يعرف قدر ذلك الشيء، فميزان يوم القيامة للناس ما يوزن به قدر كلّ إنسان، وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وخدمته وعمله وعلمه، وليس ذلك إلاّ الإنسان الكامل، إذ به وباقتفاء آثاره، فميزان كلّ أُمَّةٍ هو نبيٌّ تلك الأُمَّة ووصيّ نبيّها والشَّريعة التي أتى بها"[٢].

فتعرض أعمال كلّ أُمَّة على نهج أعمال إمامها نبيًّا كان أو وصيًّا، فالإمام صاحب الزمان ميزانٌ يزن الله تعالى به أعمال الأُمَّة.

والحشر حق

وقد تعرَّض القرآن الكريم لكيفيَّة الحشر وبعض صفات أهل المحشر في عدّة آيات، منها:

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ

---

(١) تصحيح اعتقادات الإماميَّة، للشَّيخ المفيد، ص ١١٥.

(٢) تفسير الصافي، للفيض الكاشاني، ج٢، ص ١٨١.

أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾[2].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[3].

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[4].

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾[5].

---

(١) الكهف: ٤٧-٤٨

(٢) النبأ: ١٨

(٣) إبراهيم: ٤٢-٤٣

(٤) المعارج: ٤٣-٤٤

(٥) القمر: ٦-٨

والحساب حقٌّ

كما أنَّ رزق العباد على الله (عزَّ وجلَّ)، كذلك إيابهم إليه وحسابهم عليه، ولكن لا يلزم من ذلك مباشرة الله (عزَّ وجلَّ) للحساب، فإنَّ سنَّته جاريةٌ على توسيط العلل والأسباب بينه وبين مراداته، فهو الذي يشفي الإنسان إذا مرض ويطعمه إذا جاع ويسقيه إذا عطش، ويميته ويحييه ويرزقه، و...، وقد جلَّ عن مباشرة ذلك كلِّه، بل سبَّب لكلٍّ سبباً وأحكم سبباً، فكما أنَّ الموت بيده تعالى وقد وكَّل به ملكًا اسمه عزرائيل، وحساب القبر بيده وقد وكَّل به ملكين هما نكير ومنكر، كذلك القيامة وشؤونها -ومن تلك الشؤون الحساب بيوم الحساب- كلُّها بيده (عزَّ وجلَّ)، ولكن لا يلزم من ذلك مباشرته تعالى للحساب، وقد وردت نصوص شريفة تشير إلى أنَّ أولياء الله المخلَصين محمَّدًا وآلَه الطَّاهرين هم أصحاب الحشر والنشر والحساب.

ففي الزيارة الجامعة: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم».

وفي الدعاء المخصوص بليلة النصف من شعبان: «وولاة الأمر المنزل عليهم ما يتنزل في ليلة القدر وأصحاب الحشر والنشر».

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾[١] عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا وعلي نلقي في جهنم كلّ من عادانا»[٢]. وعن الإمام أبي الحسن (عليه السلام): «أما تقرأ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[٣]؟» قلت: بلى، قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين وولاَّنا حساب شيعتنا، فما كان بينهم وبين الله حكمنا على الله فيه، وأجاز حكومتنا، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فوهبوه لنا، وما كان بيننا وبينهم فنحن أحق من عفا وصفح»[٤].

---

(١) ق: ٢٤

(٢) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٤، ص ٢٤٧.

(٣) الغاشية: ٢٥-٢٦

(٤) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٤، ص ٢٦٧-٢٧٧.



وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ بِهِمَا حَقٌّ، يَا مَوْلَايَ شَقِيَ مَنْ خَالَفَكُمْ وَسَعِدَ مَنْ أَطَاعَكُمْ

ليس المراد بالشقاء الشقاء الأُخروي فقط، ولا بالسعادة السعادة الأُخرويَّة فحسب، بل "شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم" مطلق يشمل الشقاء والسعادة الدنيويَّة أيضًا.

وما نراه اليوم ونعانيه في أرجاء المعمورة من بؤس وفقر، وحرب ودمار، وتعاسة وشقاء وجهل وضلال وإضلال وإفساد، وزيغ وانحراف، وتحلل وتفسخ أخلاقي، و...، كلُّ ذلك سببه الميل عن دين الله الذي هو ولاية علي (عليه السلام)، فالله تعالى قرن التوحيد والرسالة بالولاية، بل لا يمكن أن نفصل بين القول بالتوحيد والقول بالولاية، إذ من يزعم أنَّه يوحّد الله ذاتًا وصفاتٍ وأفعالاً ثم يختار له وليًّا وإمامًا غير الإمام الذي اختاره الله فقد أبطل توحيده بنفسه، ونقض غزله بيده من بعد قوَّة أنكاثًا، حيث جعل لله شريكًا في تدبير أُمور العباد، ونصب له

وجهًا -من عنديّاته- يتوجَّه به إلى الله، فالولاية هي صميم التوحيد.

ولهذه الحقيقة (أعني: شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم) دلائلها القرآنية والروائية:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[2].

وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3].

فالإسلام الذي ارتضاه الله (عزَّ وجلَّ) هو الإسلام الذي أكمله بولاية عليٍّ (عليه السلام)، فمن يبتغ غيره فلن يقبل منه، وهذا الإسلام هو بعينه الذكر الذي عبَّر عنه في كتابه فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[4]، وهذا الإسلام هو الطريقة التي قال عنها سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ

---

(١) آل عمران: ٨٥

(٢) المائدة: ٦٧

(٣) المائدة: ٣

(٤) طه: ١٢٤

لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا } [(١)].

وهاهنا جملة من الروايات الناصة على أن السعادة في الولاية، والشقاء في تركها:

ففي الحديث القدسي: "يا محمد لو أن عبدًا عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي ثم أتاني جاحدًا لولايتهم (يعني الأئمة) ما أسكنته جنَّتي، ولا أظللته تحت عرشي"[(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري قال: "أمر الناس بخمسٍ فعملوا بأربع وتركوا واحدة، فقال له رجل: يا أبا سعيد ما هذه الأربع التي عملوا بها؟ قال: الصلاة والزكاة والحج وصوم شهر رمضان قال: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال الرجل: وإنّها المفترضة معهن؟ قال أبو سعيد ورب الكعبة، قال الرجل: فقد كفر الناس إذن؟ قال أبو سعيد: فما ذنبي"[(٣)].

وفي حديث قدسي: «لو اجتمع الناس على ولاية علي ما خلقت النار»[(٤)].

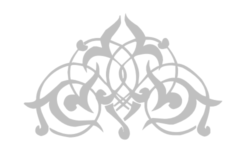
---

(١) الجن: ١٦

(٢) عيون أخبار الرِّضا، للشَّيخ الصَّدوق، ج٢، ص ٦١.

(٣) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٢، ص ١١٥.

(٤) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٣٩، ص ٢٤٨.



فَأَشْهَدْ عَلَى مَا أَشْهَدْتُكَ عَلَيْهِ

أي على جميع الاعتقادات الحقَّة التي اعترفت وأقررت بها عندك.

وَأَنَا وَلِيٌّ لَكَ بَرِيءٌ مِنْ عَدُوِّكَ

هذا هو المقام الثالث الذي يعقب مقام المعرفة ومقام الإقرار وهو مقام العمل، فليس التولّي والتبرّي دعويين من الدعاوى الجوفاء أو من الشعارات التي ليس وراءها مسؤوليَّة عمل.

إنَّ التولِّي والتبرِّي عمل كلّه، وإخلاص كلّه، وتسليم كلّه.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: "يا أمير المؤمنين إن أحبُّك وأحبُّ فلانًا وسمَّى بعضَ أعدائه، فقال (عليه السلام): «أمَّا الآن فأنت أعور، فإمَّا أن تعمى وإمَّا أن تبصر»[1].

(١) بحار الأنوار، للعلاَّمة المجلسيّ، ج٢٧، ص ٥٨.

وعن جابرٍ عن أبي جعفرٍ (عليه السلام) قال: قال لي: «يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيُّع أن يقول بحبِّنا أهل البيت؟!، فوالله ما شيعتنا إلاَّ من اتَّقى اللهَ وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلاّ بالتواضع والتخشُّع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلاَّ من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء»، قال جابر: فقلت: يابن رسول الله، ما نعرف اليوم أحدًا بهذه الصِّفة، فقال: «يا جابر، لا تذهبنَّ بك المذاهب حسب الرجل أن يقول: أُحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالا؟ فلو قال: إنّي أُحب رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي عليه السلام ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، ياجابر والله مايتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة وما معنا براءة من النار، ولا على الله لاحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»(١).

(١) الأصول من الكافي، للشَّيخ الكليني، ج٢، ص ٧٤-٧٥، كتاب الإيمان والكفر، باب الطاعة والتقوى، الحديث ٣.



فَالْحَقُّ مَا رَضِيتُمُوهُ، وَالْبَاطِلُ مَا أَسْخَطْتُمُوهُ، وَالْمَعْرُوفُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَالْمُنْكَرُ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ

هاهنا إقرار بانحصار الحق والباطل، والمعروف والمنكر، انحصارًا يجعل تلك الأُمور متشخّصة متعيّنة لا يمكن أن تشتبه وتلتبس على طالبها، فالحقُّ هو باختصار شديد وانحصار جليٍّ ما يرتضيه أهل البيت (عليهم السلام) من القول والفعل والسلوك والخلق، والباطل ما يسخطونه ويرفضونه من ذلك.

والمعروف بكلِّ درجاته ومراتبه هو ما يأمرون به، والمنكر هو ما ينهون عنه، ومن التمس معرفة الحق والباطل والمعروف والمنكر بعيدًا عنهم ضلَّ سواء السبيل.



فَنَفْسِي مُؤْمِنَةٌ بِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِرَسُولِهِ وَبِأَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَبِكُمْ يَا مَوْلاَيَ أَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ، وَنُصْرَتِي مُعَدَّةٌ لَكُمْ وَمَوَدَّتِي خَالِصَةٌ لَكُمْ

ثلاثة أُمور متماسكة مترابطة، يشدّ بعضها أزر بعض: الإيمان بالله وبرسوله وآل البيت عليهم السلام، والنصرة لهم، والمودَّة الخالصة لهم. وهي من المضامين القرآنية العالية، ومن المقامات السامية التي يرتقي بها العبد ويترقَّى في درجاتها بحسب ما يكون نصيبه منها.

فهو بالإيمان يخرج عن حدِّ البهيميَّة إلى حدِّ الإنسانيَّة، قال تعالى واصفًا الكافرين: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ }[1]، وقال: { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا }[2].

---

(١) محمد: ١٢

(٢) الفرقان: ٤٤

وبالإيمـان والنُّـصرة يكـون مـن الـصادقين، وهـي درجـة في سـلّم الإيمان أعلى من سابقتها، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[1].

وبالمودَّة الخالصة لهم يكون مؤدِّيًا أجر الرسالة، موفيًـا لله ورسـوله بعهــده، قــال تعــالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2].

هذه الأُمور الثلاثة ركائز أساسية في شخصيَّة الزائـر أَشْـهَدَ عليهـا إمامَه وأقرَّ له بها.

---

(١) الحجرات: ١٥

(٢) الشورى: ٢٣



الخاتمة

إنَّ بلوغ النفس درجة الكمال المقدَّر لها لا يتمّ إلا بأربعة أُمور، هي: العلم، والإيمان، والعمل، والإخلاص. وقد تناولتها الآية: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }[1].

فالآية تصرّح بأنَّ العباد مأمورون بالعبادة وبالإخلاص لله (عزَّ وجلَّ)، وهذان الأمران متوقِّفان على معرفة المعبود (وهو الله) والإيمان به، فهذه أربعة أُمور دلَّت عليها الآية؛ اثنان بالمطابقة واثنان بالالتزام.

ثمَّ إنَّ تحصيل هذه الأُمور على أحسن وجه لا يكون إلاَّ من طريق الرسول والأئمَّة (عليهم السلام) الذين نصبهم الله أدلاَّء عليه وهداةً إليه، فلابدَّ إذن من معرفتهم والإيمان بهم والعمل بأمرهم ونهيهم، والإخلاص لهم.

---

(١) البيّنة: ٥

وقد جاءت هذه الزيارة الشريفة بمضامينها القيّمة لتوكيد هذه الأُمور الأربعة وتثبيتها وترسيخها في نفس الزائر، حتى يكون عند الانتهاء من زيارته قد بلغ درجةً ما من المعرفة بإمامه وأقرَّ وأذعن له بما له من المقام والفضل عند الله، وعاهده على السَّير والعمل بما يراه الإمام معروفًا، والترك والاجتناب لما يراه منكَرًا، ويكون قد أشهده على صدق مودَّته وإخلاصه له.

وبهذا أصل إلى تمام ما أردتُ بيانه، راجيًا من الله القبول والصَّفح عمَّا فيه من زلل وقصور، والحمدلله رب العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين.

صالح جعفر آل جواد

١٦ شعبان ١٤٣٨



المحتويات